الانحرافـــــات الاقتصاديـــــــــة

لقـــــــوم مديـــــــــن

وانعكاساتها على الاستقرار الاجتماعي

(المنهج العلاجي لنبي الله شعيب عليه السلام)

د . أحمد مصطفى عبد الحميد مهران

دكتوراه في الحقوق

(تخصص اقتصاد ومالية عامة)

مقـدمـــــــة

اختار الله سـبحانه وتعالى الأنبياء والرسـل وهم خير خلقه ، واصـطفاهم لحمل الأمانة وتبليغ الرسـالة ، فأضـاءوا للبشـرية الطريق المسـتقيم الموصـل للخير ، وجاءت الرسـالة الخاتمة رسـالة الإسـلام على يد الحبيب المصـطفى سـيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، فأنزل الله سبحانه وتعالى عليه القرآن الكريم ، وفيه قصص الأنبياء والرسل السابقين عبرة لمن يعتبر ، قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [١] .

ومن المهام الأولى للرسل والأنبياء عليهم السلام التعريف بالله عز وجل والدعوة إلى الوحدانية ، بالإضـافة لمهامٍ أخرى ، من أهمها علاج التصـرفات السـلبية السـائدة في مجتمعهم كلٌ حسب ظروفه وأفعال قومه ، ومن أبرز ما جاءت الرسالات السماوية لترشيده وإصـلاحه هو السـلوك الاقتصـادي للأمم ، وذلك وفق منهج إيماني وأخلاقي يحافظ على الحقوق والحريات ويحقق الانتفاع بالموارد المتعددة .

وبمرور الأزمان يتبين أن الاقتصـادات المعاصـرة بنيت على المادية والأنانية بسـبب البعد عن تعليمـات الأديـان السـمـاويـة وعـدم الالتزام بهـا ، حيث انتشـرت الممارسـات الاقتصـادية غير الأخلاقية ، والتي نتج عنها مشـاكل عديدة ، لا علاج لها إلا بالعودة إلى تعاليم الدين الحنيف واتباع البعد الأخلاقي والإنساني في المعاملات الاقتصادية .

---

[١] () سورة يوسف : الآية ١١١ .

ومن هنا كان إعداد هذا البحث الذي يتناول بعض الانحرافات الاقتصادية لقوم مدين وانعكاساتها على الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي ، ومنهج نبي الله شعيب عليه السلام في علاج هذه الاختلالات . قال تعالى : ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ** ﴾ [١] .

أرسل الله شعيبًا عليه السلام إلى أهل مدين داعيا إياهم إلى توحيد الله وعبادته ، وكان أهل مدين مصابون بأمراض وانحرافات اقتصادية مهلكة ، فكانوا ينقصون المكيال والميزان ، ولا يعطون الناس حقهم ، ويعتبرون بخس الناس أشياءهم نوعا من أنواع المهارة في البيع والشراء ، وكانوا يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون الأيكة . وعندما قام بدعوتهم سخروا منه قائلين : ما هي علاقة الإيمان والصلاة بالمعاملات المادية ؟ ، حيث طرحوا أمامه قضية الإيمان وعلاقتها بالعمل ، وأنكروا أن تكون لها علاقة بسلوك الناس وتعاملاتهم واقتصادهم ، وأنكروا أن يتدخل الدين في حياتهم اليومية ، هذا هو فهم قوم شعيب للدين الذي قام بالدعوة إليه شعيب عليه السلام.

فهم يرون أن الدين مجموعة من القيم الروحية الطيبة التي لا تدخل في الحياة اليومية ، وكان رد شعيب عليه السلام أنه تلطف معهم وأفهمهم أنه على بينة من ربه ، وإن ما يريده هو الإصلاح ، ولكنهم أصروا على الوقوف ضده ، وكشفوا عن كراهيتهم له

---

[١] () سورة هود : الآية ٨٤ .

وتمنيهم قتله ، وقاموا بتهديده بالقتل والطرد من قريتهم وخيروه بين التشريد والعودة إلى ملتهم التي تعبد الأشجار والجمادات .

ويستمر الصراع بين بين أهل مدين ونبيهم شعيب عليه السلام حتى طالبوه بأن يسقط عليهم العذاب إن كان من الصادقين فأوحى الله إليه أن يخرج المؤمنين ويخرج معهم من القرية ، فخرج شعيب عليه السلام وجاء أمر الله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۝ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ** ﴾ (١) .

ولذا تحاول هذه الدراسة استخلاص بعض الدروس الاقتصادية المستفادة من حياة ذلك النبي عليه السلام وعلى رسولنا أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وربط ذلك بالواقع الاقتصادي المعاصر الآن ، للاستفادة منها في إصلاح الأحوال المعيشية الاقتصادية.

أولًا – إشكاليات البحث :

ـــــــ إن قضية الانحرافات الاقتصادية وعدم الانضباط في المعاملات أصبحت ظاهرة في المجتمع بصفة عامة ، لاسيما الفترات التي يغلب عليها عدم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي ، وأصبح هناك ما يسمى بأزمة الضمير ، ولذا تكمن إشكالية البحث في الإجابة على عدة تساؤلات هامة هي :

- ما هي أهم الانحرافات الاقتصادية المنتشرة في المجتمع؟ وما الآثار المترتبة عليها ؟

- ما أسباب تفشي الانحرافات الاقتصادية ؟

(١) سورة هود : الآية ٩٤ ، ٩٥ .

- ما هي الدروس المستفادة من تجربة نبي الله شعيب عليه السلام مع قومه ؟

- ما كيفية تطبيق المنهج النبوي لنبي الله شعيب عليه السلام على الوضع الحالي ؟

ثانيًا - أهمية اختيار موضوع الدراسة :

إن قصص الأولين وتجارب السابقين هي أحد أهم مصادر التغيير والتنظيم الاجتماعي لحياة الأفراد . ولأن التدابير الاقتصادية هي من أكثر السبل فاعلية لمكافحة إهدار الأموال ، لذلك فإنه بات من الضروري فرض رقابة جادة صارمة لمجابهة الانحرافات الاقتصادية التي أدت وتؤدي إلى مشكلات عديدة على المستويات الاجتماعية والاقتصادية ، وكذا زيادة مستويات العنف والإدمان والسرقة والنصب ، وتخلخل العلاقات الاجتماعية ، وتدهور الاستقرار السياسي . وذلك بحصر تلك الانحرافات ومدى تأثيرها على الاقتصاد ، مع وضع سياسة جادة وبرامج محددة لمكافحتها والقضاء عليها . حيث تلاحظ تفاقم تلك الظاهرة في المجتمع ، وعجز الحكومات عن حلها ، كما أن آثارها بدأت تتوطن فيه مما يجعلها غاية في الخطورة .

ثالثًا - منهج البحث :

تعتمد هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي والتاريخي المقارن ، وذلك بسرد أحداث تجربة نبي الله شعيب عليه السلام مع قومه في معالجة الانحرافات الاقتصادية المتفشية فيهم ، بما يتفق ويتناسب مع أهداف الدراسة ومع نوعية المعلومات والبيانات المستخدمة وطبيعتها ، وكذا التطبيق على الوضع الحالي . ومعرفة مدى تواجد تلك الانحرافات الاقتصادية في المجتمع وأسبابها وأبعادها وخصائصها عن طريق الاعتماد على العديد من الكتب والمراجع ومواقع الانترنت ، ليتثنى معالجة ذلك الأمر .

رابعًا - فرضية البحث :

يمكن صياغة فرضية البحث على النحو التالي :

" الانحرافات الاقتصادية في المجتمع منتشرة انتشاراً واسعاً وهداماً للاقتصاد القومي ، وتحتاج لتدخل عاجل وإصلاح سريع " .

خامسًا ـ أهـداف البـحث :

١ ـ تحديد أهم الانحرافات الاقتصادية في المجتمع .

٢ ـ توضيح الآثار السلبية المترتبة على انتشار الانحرافات الاقتصادية .

٣ ـ اقتراح الحلول العلمية والعملية (قصيرة وبعيدة الأجل) لوأد تلك الانحرافات .

٤ ـ تفعيل عمل جميع أجهزة ومؤسسات الدولة الرقابية لتضييق الخناق عليها .

٥ ـ وضع نظام شامل وخطة مستقبلية لمنع تكرار تلك الانحرافات مرة أخرى .

سادساً ـ خطـــة البحـــث :

تتكون خطة البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة .

على النحو التالي :

المبحـث الأول : من هم قوم مدين وما هي أنشطتهم الاقتصادية .

المبحـــــث الثاني : أهم الانحرافات الاقتصادية لقوم مدين وآثارها ومدى ارتباطها بالوضع الحالي .

المبحث الثالث : المنهج النبوي لمعالجة انحرافات قوم مدين ومدى استجابتهم .

المبحث الرابع : كيفية الاستفادة من المنهج النبوي وتطبيقه على الوضع الحالي .

المبحث الأول

من هم قوم مدين وما هي أنشطتهم الاقتصادية

إن تعاليم العقيدة الصحيحة في التشريع الرَّباني الحكيم ترتبط ارتباطاً لا يقبل التجزئة مع المعاملات والعلاقات بين النَّاس ، ولا تنفصم عنها نهائيا سواء أكانت مادية أم معنوية ، فرضاء المولى جلَ وعلا يتوقف على صحة المعاملة والتعامل بين بني البشر ، وهنا تكتمل الصورة المشرقة التي تُميز التشريع الإلهي عن القوانين الوضعية ، فالتشريع الإلهي قانون لا يتغير بل إنه متطور في حد ذاته على مر الأزمان والعصور إلى يوم الدين ، فهو من لدن عليم حكيم ، أما القانون الوضعي فهو من نتاج عقول البشر الضيّقة ، التي تتغير وتختلف دائمًا وأبدًا .

وفي دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام يتضح ذلك جليًا ، فجميعهم جاؤوا بدعوة التوحيد الخالص ، ويرتبط بذلك كل القضايا التي تنظم حياة البشر بما ينسجم مع روح تلك العقيدة ، وإن كانت رسالات الأنبياء تختلف فيما بينها في بعض الجزئيات التشريعية، وذلك لطبيعة النّاس المخاطبين بها ، لكنها تتفق جميعها في أنَّ : ﴿ **مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا**﴾ (١) .

والمتمعن في رسالات الأنبياء والرسل يتضح له أنها جاءت لتعالج مشكلة أخلاقية أو اقتصادية ، أو فكرية ، أو اجتماعية تخالف أسس العقيدة السليمة التي أمر الله

(١) سورة النساء: الآية ١٢٣ .

سبحانه وتعالى بها . ومن بين هؤلاء الرّسل ؛ نبي الله شعيب عليه السّلام الذي بعثه الله عزّ وجل إلى أهل مدين [١] ، ليعالج مشكلاتهم الاقتصادية الهدامة .

ويحتوي هذا المبحث على مطلبين كالآتي :

المطلب الأول : التعريف بنبي الله شعيب عليه السلام وقوم مدين .

المطلب الثاني : أهم الأنشطة الاقتصادية لقوم مدين .

المطلب الأول

التعريف بنبي الله شعيب عليه السلام وقوم مدين

أولا : نبي الله شعيب عليه السلام :

هو خطيب الأنبياء ، روي عن ابن عباس ﷺ أنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيبًا عليه السلام قال : **"ذاك خطيب الأنبياء"** [٢] ، قيل : لفصاحته وبلاغته وعلو عبارته في دعاية قومه . وكان معروفاً من قبل المسلمين الأوائل بأنه "الواعظ البليغ بين الأنبياء" ، لأنه كان قد مُنح موهبة وبلاغة في لغته . ويقال له بالسريانية يثرون ، وهو كاهن مديان الذي لجأ إليه موسى عندما هرب من فرعون مصر وتزوّج ابنته صفّوريا [٣] ، وهو نبي عربي .

١() محمد عبد الرحمن صادق : دعوةُ شعيب .. رباط العقيدة والمعاملة والسلوك ، تم الاطلاع عليه بتاريخ : ٢٠٢١/٦/١٩ ، متوافر على الرابط : https://basaer-online.com/ .

٢() رواه الإمام الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر العربي ، ج ١ ، ص . ١٨٥ ، (أخرجه الحاكم في المستدرك) .

٣() موقع ويكيبيديا : متوافر على الرابط : https://ar.wikipedia.org/wiki/ .

والثابت في نسبه أنه من سلالة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، أرسل إلى قوم مدين ، أو ما عُرف عند المفسرين بأصحاب الأيكة ، وكانت ديار قومه تمتد ما بين الأطراف الشمالية للحجاز إلى الأطراف الجنوبية للشام [١] ، كما توجد أثار لمساكنهم باقية إلى اليوم في شمال غربي الحجاز بمحافظة البدع بمنطقة تبوك ، المملكة العربية السعودية ، يعتقد أنه عاش ما يقارب ٢٤٢ سنة [٢] .

نسبـــــــــــــــه : هو شعيب بن ميكائيل بن يشجب بن مدين بن إبراهيم بحسب تفسير الشوكاني ، وقد ذُكر في نسبه أقوال أخرى مختلفة ولكنها كلها ترده إلى إبراهيم كما في تفسير البغوي والقرطبي .

ذُكر النبي شعيب عليه السلام في القرآن إحدى عشر مرة حسب النص القرآني [٣] ، بعثه الله تعالى لقومٍ كانوا أهل تجارة وزراعة ، وتمر بديارهم واحدة من أهم الطرق التجارية أنذاك ، إلا أنهم كانوا يتعاملون مع الناس بالغش والمكر والخداع ، فهم إذا اكتالوا على الناس يستوفون ويزيدون عما يستحقون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم

---

(١) أ. د / أحمد عبد المبدي أحمد النجمي : الجوانب الاقتصادية في حياة نبي الله شعيب عليه السلام ، ندوة الجوانب الاقتصادية في حياة الأنبياء عليهم السلام ، مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي ، جامعة الأزهر ، ١٠ / ٤ / ٢٠٠٤ ، نقلا عن : د / محمد الطيب النجار : تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ، ص . ١٧١ .

(٢) موقع ويكيبيديا : متوافر على الرابط : https://ar.wikipedia.org/wiki/ .

٣() محمد عبد الرحمن : سيدي شعيب من أنت ؟ ، جريدة اليوم السابع ، الاثنين ١١ مايو ٢٠٢٠ تم الاطلاع عليه بتاريخ : ١٣ / ١٠ / ٢٠٢١ ، متوافر على الرابط : https://www.youm7.com/story/ .

يخسرون وينقصون ، ولا يعطونهم ما يستحقون ، فنهاهم شعيب من مغبة هذه الأفعال الشنيعة والمعاملات السيئة .

وعن السدى وعكرمة : أن شعيبا أرسل إلى أمتين : أهل مدين الذين أهلكوا بالصيحة ، وأصحاب الأيكة الذين أخذهم الله بعذاب يوم الظلة ، وأنه لم يبعث نبي مرتين إلا شعيب عليه السلام . ولكن المحققين من العلماء استقروا على أنهما أمة واحدة ، فأهل مدين هم أصحاب الأيكة ، أخذتهم الرجفة والصيحة وعذاب يوم الظلة ، وأن كل عذاب كان كالمقدمة للآخر [١] .

ثانيا : قوم مدين :

هم عربٌ يسكنون بلدة مدين التي تقع في الطريق بين الشام والحجاز ، وقد مرَّ بها سيدنا موسى عليه السلام عند خروجه مِن مصر ، قال الله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ** ﴾ [٢] ، وقد سمى القرآن الكريم قوم شعيب عليه السلام بمدين ، قال تعالى : ﴿ **وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ [٣] .

---

(١) مقال بعنوان : تأملات في كتاب الله وسنة رسوله ، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢١/٨/١٧ ، متوافر على الرابط :
https://m.facebook.com/inquranandsunnah/photos/a.269443 .

(٢) سورة القصص : الآية ٢٣ .

٣() سورة العنكبوت : الآية ٣٦ .

٧- الانحرافات الاقتصادية لقوم مدين وانعكاساتها على الاستقرار الاجتماعي

وسلك قوم مدين طريق الغي والضلال ، فأشركوا بالله تعالى وكانوا يعبدون الأيكة من دون الله ، وهي شجرة لها صلة بالصالحين السابقين فيهم ، فعبدوها بعدهم ، قال الله تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [١] ، كما كان فيهم تخسير الكيل والميزان ، قال تعالى : ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [٢] .

وكذا الظلم والجشع في المعاملات المالية المختلفة ، على رغم ما كانوا عليه مِن الغنى وكثرة المال [٣] ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [٤] .

وقد أشار القرآن الكريم أنّهم كانوا يقطعون الطريق على النَّاس ويفسدون في الأرض ، ويفتنون النَّاس عن دينهم الذي ارتضوه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [٥] .

فأخذ شعيب عليه السلام في نصحهم ، وحثهم على اتباع تعاليم دين الله ، فآمن به وصدّقه بعضهم ، وكفر به الأكثرون ، الذين لم يدركوا ويتفهموا

١() سورة الشعراء : الآية ١٧٦ .

٢() سورة الأعراف : الآية ٨٥ .

٣() سعيد محمود : دروس من قصة نبي الله شعيب – عليه السلام ، تم الاطلاع عليه بتاريخ : ٢٠٢١/٦/١٧ ، متوافر على الرابط : https://anasalafy.com/ar/62965- .

٤() سورة الأعراف : الآية ٨٥ .

٥() سورة الأعراف : الآية ٨٥ ، ٨٦ .

مدى العلاقة والارتباط بين المعاملات المالية والصلاة المعبّرة عن التوحيد والاحتكام لله سبحانه وتعالى [١] . ولم يأبهوا بما يقول ، وأخذوا يتوعدونه ، هو والذين آمنوا معه بالعذاب والطرد ، ثم تمادوا في الباطل وساروا في طريق الضلال ، فذكرهم شعيب عليه السلام بعاقبة هذا الأمر وسوء الخاتمة ، فردوا عليه بالتكذيب لنبوته ، فطالهم من الله عذاب عظيم [٢] .

المطلب الثاني

أهم الأنشطة الاقتصادية لقوم مدين

إن المعاملات الاقتصادية تلعب دورا حيويًا وهامًا في حياة الأمم والشعوب ، ولا أحد يستطيع أن ينكر هذه الحقيقية الواضحة ، فلا يخلو أي مجتمع من الاهتمام بالجوانب المالية والاقتصادية . فالاقتصاد هو عصب الحياة ، وكلما كان هناك تقارب وتواؤم اقتصادي ومصالح مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد ، أو بين المجتمعات وبعضها البعض ، كلما كان هناك سلام ومحبة وأخوة وتفاهم ، والعكس صحيح ، فكلما حدثت انحرافات اقتصادية من احتكار ، واستغلال ، وغبن ، وبخس ، وغير ذلك ، كلما زادت المشاحنات والحروب بأنواعها المختلفة ، سواء أكانت عسكرية ، أم اقتصادية ، أم بيولوجية ... ألخ .

من أجل ذلك وعلى مر العصور والأزمنة اهتم المنهج الإلهي بوضع الأسس السليمة ، والدعائم والركائز القوية للحياة الاقتصادية ، عن طريق

١() محمد عبد الرحمن صادق : دعوة شعيب .. رباط العقيدة والمعاملة والسلوك ، مرجع سابق .

٢() محمد عبد الرحمن : سيدي شعيب من أنت ؟ ، جريدة اليوم السابع ، مرجع سابق .

عدة وسائل كالزراعة ، والتجارة ، والصناعة ، وتنظيم حركة البيع والشراء ، ... ألخ . فاشتهرت الأمم والأقوام بصنعة أو حرفة معينة ، فمنذ بدء الخليقة (سيدنا أدم عليه السلام) كان الاهتمام بالإنتاج الزراعي والحيواني (تربية الماشية والأغنام) ، ثم تتابعت المهن والحرف بالبناء والتشييد (قوم عاد) حيث طوروا في علوم البناء ، وقوم ثمود حيث كانوا ينحتون الجبال لتكون لهم بيوتًا وقصورًا ، وأقوامًا اشتهروا بالتجارة وتسيير القوافل ، وأقوامًا أخرى بالصناعة وهكذا .

أما قوم مدين فقد اشتهروا بالزراعة والتجارة [١] ، وتعتبر الزراعة والتجارة من أقدم الأنشطة الاقتصادية على مر العصور ، فطالما وُجد أي مجتمع من الناس تواجدت معه الزراعة ، للتقوت والتغلب على معايش الحياة ، وتزامن مع ذلك أن يكون هناك تبادل تجاري ، حتى تكتمل الدائرة ويحدث التعاون والتكامل فيما بين المجتمعات وبعضها البعض .

وكانت مهنة قوم شعيب الأساسية أنهم أصحاب تجارة ، حيث يقومون بشراء الحنطة والشعير والحلبة وغيرها من الحبوب ، ويقومون بتخزينها في أماكن معدة لذلك لعدم التلف ، ثم ينتظرون غلاء الأسعار فيعرضون سلعهم للبيع وفقًا للسعر السائد بعد الزيادة .

١() موقع ويكيبيديا : متوافر على الرابط : https://ar.wikipedia.org/wiki/ .

وكان لكل تاجر مكيالين ، أحدهما وافٍ لأجل الشراء ، والآخر ناقص لأجل البيع [١] . كما كانت لهم قوافل تجارية إلى مصر ولبنان ، وقد اصطفاهم المولى جلَ وعلا بالرزق الوفير والمكاسب الكبيرة ، إلا أنهم تبتروا على نعمة المنعم ، وأبوا أن يلتزموا الطريق السليم في نشاطهم التجاري ، واتجهوا إلى الطرق الملتوية والغش والخداع .

فما كان من نبيهم شعيب عليه السلام إلا أنه حاول معهم مراراً ، وتكراراً ، مرة بالحسنى ، ومرة بالشدة ، وأخرى بالتحفيز ، وغيرها بالترهيب والتخويف .

(١) د. محمد حمدي عبيد ، د. اسماعيل مخلف خضير : الإصلاح الاقتصادي في قصتي شعيب ويوسف عليهما السلام ، مجلة مداد الآداب ، الجامعة العراقية ، كلية الآداب ، قسم علوم القرآن ، بتاريخ ٢٠١٩/٢/١٨ ، ص. ١٨٦ .

المبحث الثاني

انحرافات قوم مدين وآثارها الاقتصادية

ومدى ارتباطها بالوضع الحالي

إنَّ العلاقة الوطيدة والارتباط الوثيق بين عقيدة التوحيد وبين الأمانة وعدالة المعاملة وشرف الأخذ والعطاء ، تشكّل ضمانة لحياة إنسانية أفضل ، وضمان للعدل والسّلام في الأرض ، وما ذلك إلا لأنها تستند إلى الخوف من الله وطلب رضاه ، وتستند إلى أصل ثابت لا يتعلّق بعوامل متقلّبة أو متغيّرة ، فلن تستقيم عقيدة التوحيد بترك شريعة الله المتعلّقة بالسلوك والمعاملة . ولم تكن قضية نبي الله شعيب عليه السلام قضية توحيد وألوهية فقط ، بل أيضاً تعديل وتقويم لأسلوب حياة الناس ، فبدأ في توضيح الانحرافات والأمراض السلوكية التي يتصفون بها ، من سوء تعاملهم مع الناس ، ولكنهم أبوا واستكبروا واستمروا في عنادهم ، فقد كان أهل مدين يعتبرون بخس الناس أشياءهم نوعا من أنواع المهارة في البيع والشراء ، والأخذ والعطاء [١] .

ولقد كان شعيبٌ عليه السلام فصيحاً مفوهاً حيث سمي (بخطيب الأنبياء) لفصاحته وحلاوة عبارته وبلاغته في دعوة قومه إلى الإيمان ، ولقد جاء بالقرآن الكريم أن شعيباً أُرسِل إلى أهل مَدْيَن برسالته ، قال تعالى : ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ**

١() جريدة الدستور الأردنية : قصة سيدنا شعيب عليه السلام ، عمان ، الاثنين ٨ /٩/ ٢٠٠٨ .

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) .

وكان أهل مدين قوم كفار ضالين يعبدون الأيكة ، والأشجار ، إضافة إلى خلقهم السيء حيث كانوا ينقصون المكيال والميزان ، ولا يعطون الناس حقهم ، فدعاهم شعيب عليه السلام إلى عبادة الله وأن يتعاملوا بالعدل والإحسان .

وتلك الدعوة التي قام بها سيدنا شعيب عليه السلام ، لا تختلف مطلقاً عن النظرة الإسلامية الشاملة التي جاءت على لسان خاتم الأنبياء والرّسل سيدنا محمد ﷺ ، فحمل القرآن الكريم سورة باسم (المطففين) ، ارتبطت فيها عقيدة التوحيد بالمعاملات والسلوكيات جاء فيها : **﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** (٢) .

فهذه الآيات تصف مخالفة اقتصادية تعتبر انحرافاً شديداً ، وجرمًا كبيرا في حق الإسلام ، وحق المجتمع والناس ، يترتب عليها العديد من الأثار السيئة من الناحية الاقتصادية ، والاجتماعية ، والأخلاقية ، والأهم من ذلك من الناحية الدينية ، فالآيات صريحة وموضحة أن هناك يوم للحساب ، يوم عظيم ، يقف الخلق جميعا ، لا يجرؤ أحد على التحدث والكلام في حضرة ذلك المشهد الرهيب ،

(١) سورة الأعراف : الآية ٨٥ .

٢() سورة المطففين : الآيات من ١: ٦ .

فالكل يحاسب على الفتيل والقطمير ، وكلٌ له دوره ، حيث جاءت الآيات تتوعد تلك الأفعال ، فهي العبرة لمن يعتبر .

ويحتوي هذا المبحث على مطلبين كالآتي :

المطلب الأول : أهم الانحرافات الاقتصادية لقوم مدين .

المطلب الثاني : الآثار الاقتصادية لانحرافات قوم مدين وارتباطها بالوضع الحالي .

المطلب الأول

أهم الانحرافات الاقتصادية لقوم مدين

بداية .. كان قوم مدين يعتبرون بخس الناس أشياءهم نوعا من أنواع المهارة في البيع والشراء ، ودهاء في الأخذ والعطاء ، ثم جاء نبي الله شعيب عليه السلام وحاول جاهدًا إفهامهم أن هذه ليست مهارة ، وإنما دناءة وسرقة ، وأفهمهم أنه يخشى عليهم بسبب تلك الأفعال من عذاب يوم القيامة ، قال تعالى : **﴿ وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾** [١] ، وحذرهم مرة أخرى أن يبخسوا الناس أشيائهم ، قال تعالى : **﴿ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ ﴾** [٢] ، والمقصود هنا بالبخس الناحية المادية والمعنوية ، ثم يكمل تحذيره لهم من الإفساد في الأرض ، قال تعالى :

١() سورة هود : الآية ٨٥ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٨٣ .

﴿ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١) ، وهو تعمد الإفساد والقصد إليه ، فلا تفسدوا في الأرض متعمدين قاصدين .

ويفهمهم أنه لا يملك لهم شيئا .. إنما هو رسول يبلغهم رسالات ربه ، ليشعروا أن الأمر جد خطير ، وثقيل .. وبين لهم عاقبة إفسادهم ، فعانده قومه ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (٢) .

واستمروا على ظلمهم وطغيانهم ، وكلما دعاهم لعبادة الله جلَ وعلا ، استكبروا وأخذوا يسخرون منه ، ويتمادون في ذلك ويسلكون كل طريق ملتوي في نشاطاتهم التجارية .

وتتمثل بعض أمراض وانحرافات قوم مدين الاقتصادية في الآتي :

١ – التطفيف في الكيل والميزان :

كما سبق القول أن قوم شعيب كانوا يتعاملون مع الناس بالغش والمكر والخداع ، فهم إذا اكتالوا على الناس يستوفون ويزيدون عما يستحقون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون وينقصون ، ولا يعطونهم ما يستحقون ، وكان لكل تاجر مكيالين ، أحدهما وافٍ لأجل الشراء ، والآخر ناقص لأجل البيع .

(١) سورة الشعراء : الآية ١٨٣ .

(٢) سورة هود : الآية ٨٧ .

ولقد دعاهم نبي الله شعيب عليه السلام بإلحاح بأن يوفوا الكيل والميزان ولا ينقصوهما ، قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ (١) ، وأخذ يمنعهم من ذلك الفعل إلا أنهم كانوا في حالة غريبة من الشغف بهذا البخس والتطفيف ، قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ (٢) .

وفي موضع آخر يقول الله تعالى على لسان نبيه الكريم : ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۞ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ (٣) ، فالتطفيف بالميزان يكون بنقص المكيال والتخفيف والتخسير من الميزان إن كان لغيرهم ، في حالة البيع وقبض الثمن ، وعلى النقيض ، ففي حالة إن كان الشراء لهم ودفع الثمن ، يكون الوزن بالزيادة والكيل مستوفي ، وفائض عن الحد المعتدل ، وهو عمل لا يعمله إلا الظالمون الطُّغاة .

٢ – بخس الناس أشيائهم :

ويعتبر البخس من الأمراض الاقتصادية الخطيرة والهدامة المنتشرة في المجتمع ، في الماضي والحاضر ، وهو يعني التقليل من قدر الشيء ، والتحقير مما لدى الغير من السلع ، بغرض شرائها بأبخس الأثمان ، فنجد أن بعض الناس ينتظر أن يقع

١() سورة الأعراف : الآية ٨٥ .

٢() سورة هود : الآية ٨٤ .

٣() سورة الشعراء : الآية ١٨١ ، ١٨٢ .

أحدهم في ضائقة مالية أو مادية حتى يقوم بمساومته على شراء ما لديه من سلعة معينة بأقل مقابل فبدلاً من أن يقوم بمساعدته لوجه الله ، يتبين أنه يستغل الفرصة ويشتري السلعة بأقل من ربع ثمنها ، وهذا الوضع كان منتشراً بين قوم شعيب . ولقد حاول نبي الله شعيب عليه السلام مرارًا وتكرارًا نهي قومه عن هذه الأفعال، فهو يعلم مدى خطورة ذلك ، وتأثيره السيء على الاقتصاد والمعاملات التجارية ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ [١] ، والمقصود هنا بالبخس هو التخسير والنقصان وهو الظلم بعينه ، ويقال بخسته حقه إذا نقصته إياه ، ولقد تكررت تلك الآية في ثلاث سور في القرءان الكريم هي (سورة الأعراف ، وسورة هود ، وسورة الشعراء) .

ولا يقتصر بخس الناس على السلع وفقط ، أو على نوع معين من المعاملات ، بل يشمل كل شيء ، فلم يقل القرآن (ولا تبخسوا الناس سلعهم) وإنما قال أشياءهم ، فالمقصود بالشيء : هو إسم لأيّ موجود ثابت متحقّق يصحّ أن يُتصوَّر ويُخبر عنه ، سواء أكان حسيًّا أم معنويًّا (يُطلق على المذكَّر والمؤنَّث) [٢] ، فهو اسم لجميع المكونات ، عرضًا كان أو جوهرًا ، ولذا فالبخس تتسع دلالته اتساعا كبيرا ليتخطى حاجز الماديات ويدخل في حاجز المعنويات التي لا تقاس وفق تلك الماديات [٣] ، ويكون في البيع والشراء ، واستيفاء الحقوق مادية كانت أم معنوية ، بل ويسري على

١() سورة الشعراء : الآية ١٨٣ .

٢() معجم المعاني الجامع .

٣() زكريا علي الخضر : القيم الحضارية في قصة سيدنا شعيب عليه السلام (دراسة قرآنية) ، الجامعة الأردنية ، عمادة البحث العلمي ، دراسات علوم الشريعة والقانون ، ٢٠١٦ ، المجلد ٤٣ ، ملحق ١ ، ص. ٤٣٦ .

كافة المعاملات ، ولقد وصفهم الله بأنهم ظالمون في قوله : ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ [١] ، فكانوا يظلمون الناس في كل المعاملات ، وكأنها صفة لصيقة بهم .

٣ - قطع الطريق على المارة :

اشتهر قوم شعيب بقطع الطريق والتعرض للمارة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوم شعيب كانوا قوما طغاة بغاة ، يجلسون على الطريق ، فيقطعون السبيل ، ويخيفون المارة ، ويبخسون الناس أموالهم ، وكانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه الجياد ، ويقولون: دراهمك هذه زيوف فيقطعونها ثم يشترونها منه بالبخس [٢].

ولما قام شعيب عليه السلام بنهيهم عن هذا ، أخذوا يتساءلون بدهشة ساخرة ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ [٣] ، ويعودون إلى السخرية منه والاستهزاء بدعوته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [٤] ، أي لو كنت حليما رشيدا لما قلت ما تقول [٥] .

١() سورة الحجر : الآية ٧٨ .

٢() أ. د / أحمد عبد المبدي أحمد النجمي : الجوانب الاقتصادية في حياة نبي الله شعيب عليه السلام ، مرجع سابق ، نقلا عن : روح المعاني : للعلامة الألوسي ، الجزء الثامن ، ص. ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٣) سورة هود : الآية ٨٧ .

(٤) سورة هود : الآية ٨٧ .

٥() إيهاب زكريا : قصص الأنبياء ، نبي الله شعيب -عليه السلام- المرسَل إلى المطففين ، تم الاطلاع بتاريخ ٢٠٢١/٦/١٧ ، متوافر على الرابط :

. https://www.masrawy.com/ramadan/islamicnnews-sunna/details

ولقد كان هؤلاء القوم يتصدون للناس فيجبرونهم على ممارسة أفعالهم الكفرية والمفسدة ، ولما وجدوا البعض منهم يقبلون على نبي الله شعيب عليه السلام ليتبعوا دعوته أخذوا يتوعدونهم ، ليصدوا عن سبيل الله كل من أراد أن يتوجه نحو الإيمان ، فالمنغمس في الوحل يريد أن يكون الجميع معه في ذلك ، وهذا التصرف لا يصدر إلا عن نفس ملتوية خبيثة ، فهم لا يحبون الاستقامة ، ويريدون الأمور كلها معوجة ، متصادمة مع الفطرة ، ومثل هذه الممارسات لا تضر بالفرد وفقط ، وإنما تضر بالأمة ، ولا تنبع إلا من نفس خبيثة ، رغم ادِّعائهم بغير ذلك .

يقول المولى جلَ وعلا : ﴿ **وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [١] .

٤ – الإفساد في الأرض :

خلق الله سبحانه وتعالى الأرض بما فيها وما عليها من خيرات ، وجعلها صالحة لحياة كل الكائنات الموجودة بها ، فكلٌ ميسر لما خلق له ، وهناك ما يسمى بالفطرة السليمة ، تلك الفطرة التي خلق الله تعالى كل مخلوقاته عليها ، فالنحل لم يحاول يوما أن يغير من شكل أقراص العسل السداسية ، والطيور لم تغير توقيت هجرتها من قارة إلى قارة ، والشمس لم تعترض يوماً على إرسال أشعتها للأرض ، وهكذا كل المخلوقات .

١() سورة الأعراف : الآية ٨٦ .

٧- الانحرافات الاقتصادية لقوم مدين وانعكاساتها على الاستقرار الاجتماعي

أما المخلوق الوحيد الذي يحاول التصـــرف خلافًا لفطرته ، ويحاول ابتكار طرق حياة مغايرة لها هو الإنســان ، ومن هنا يبدأ الفســاد .. بسـبب انحراف الإنســان عن منهج الله ، فيظن البعض أنهم يصـــلحون الأرض بما يقومون بـه من ابتكارات في النواحي الاقتصادية ، والاجتماعية وغيرها ، والحقيقة هي خلاف ذلك .

فطالما تم الابتعاد عن منهج الله ســـبحانه وتعالى ، وفطرته التي خلق عليها عباده ، تكون النتيجة أسوأ من المتوقع وتحدث الأزمات المالية والكوارث الاقتصادية ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا** ﴾ [١] . ولقد تفنن قوم شـــعيب عليه السلام في الإفســـاد في الأرض بكل ألوانـه .. من الشـــرك بـالله ، لعبـادة الشـــجرة ، إلى عـدم التقوى ، إلى بخس النـاس أشـــيـائهم ، إلى تطفيف الكيـل والميزان إلى مخالفة أوامر الله جلَ وعلا .

قال تعالى : ﴿ **وَلا تُفْسِـدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْـلاحِها وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [٢] ، أي لا تسـعوا في إفسـاد مصـالح الغير ، لأن ذلك سيعود عليكم بالنفع وعلى إعمار الأرض ، وإلا فالعكس صحيح .

١() سورة الكهف : الآية ١٠٣ : ١٠٥ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٥٦ .

ولما نهاهم شعيب عليه السلام عن ذلك قالوا له مستهزئين بتهكم وسخرية : أصلاتك تأمرك بهذا ، قال تعالى : ﴿ **قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا** ﴾ (١) حيث كان أباؤهم يعبدون الأشجار والنباتات .

ولقد تحدث القرآن في عدة مواضع عن هذا الانحراف الاقتصادي ، وهو الفساد والإفساد في الأرض ، قال تعالى : ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (٢) .

وفي موضع آخر يقول المولى جلَ وعلا : ﴿ **وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ** ﴾ (٣) ، وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿ **وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ** ﴾ (٤) ، فهذا الإفساد في الأرض جاء بعد إصلاحها على يد الأنبياء السابقين ، ولكن لم يحافظ قوم شعيب على ما دعا إليه هؤلاء الأنبياء . ولما دعاهم سيدنا شعيب عليه السلام لم يستجيبوا وتمادوا في طغيانهم .

٥ – الاستخفاف بعقول الناس وازدرائهم :

إن ما فعله قوم شعيب من انحرافات وفساد وإفساد في حق الناس والمجتمع ، لا يقتصر على كونه سرقة وفقط ، وإنما يضاف إلى قيامهم بالاستيلاء على حقوق

---

(١) سورة هود : الآية ٨٧ .

٢() سورة الأعراف : الآية ٨٥ .

٣() سورة هود : الآية ٨٥ ، ٨٦ .

٤() سورة الشعراء : الآية ١٨٣ ، ١٨٤ .

الناس ، أنهم يستخفون بعقولهم ، فهم يرون أنهم قادرون على خداعهم ومخايلتهم ، ويظهر من ذلك أنهم ليس لديهم أي احترام وتقدير لأدمية من حولهم ، فهم يقومون بالتعدي على حقوق البشر في العلن ، وينتزعون مخصصاتهم رؤى العين . وهذا ما يرفضه الإسلام وينهي عنه ، فلا يحق للمسلم أن يخدع غيره ولو على غير دينه ، لأن التعامل هنا يكون بروح الإسلام الذي يسع الناس جميعًا بالرحمة والعدل ، والسماحة والإنسانية [١] .

المطلب الثاني

الآثار الاقتصادية لانحرافات قوم مدين وارتباطها بالوضع الحالي

لا شك أنّ للفساد الاقتصادي آثاراً سيئة كبيرة على المجتمع ، فهو أكبر معوق لكل محاولات النهوض والتقدم ، وهو المعطل الرئيسي لكافة الدعائم التنموية ، مما يجعله أشد فتكاً وتأثيراً من أنواع كثيرة من الخلل والانحرافات ، فلا يقتصر دوره المخرب على بعض نواحي الحياة دون البعض الآخر ، بل يمتد إلى شتى نواحي الحياة الاقتصادية ، والاجتماعية ، والأخلاقية ، والسياسية ، وغيرها ...

ومن تلك الآثار على سبيل المثال وليس الحصر : تلف الأموال وهلاكها ، فقدان الثقة بين الأفراد المتعاملين وبعضهم البعض وضياع الحقوق ، انتشار الفوضى ، زعزعة الأمن والاستقرار بالبلاد ، خيبة الأمل والشعور بعدم المواطنة ، هروب

(١) ناصر محمد السيد اسماعيل : من صور الانحراف الاقتصادي عند قوم شعيب عليه السلام وموقف الإسلام منها ، ندوة الجوانب الاقتصادية في حياة الأنبياء عليهم السلام ، مركز صالح عبد الله كامل ، جامعة الأزهر ، ١٠ / ٤ / ٢٠٠٤ ، ص . ٩ .

الاستثمارات ، إضعاف إيرادات الدول ، التخلف الاقتصادي ، عدم ثبات الأسعار ، نقص رأس المال المتداول ، تقلبات في قانون العرض والطلب [١] ... ألخ .

أما بالنسبة لهؤلاء القوم (قوم شعيب عليه السلام) فلقد ترتب على سوء سلوكهم وانحرافاتهم الاقتصادية العديد من الآثار السيئة والسلبية ، منها على سبيل المثال :

١ – فقدان الثقة وسوء السمعة بين القبائل :

إن الانحراف الاقتصادي أياً كان نوعه – سواء أكان بتطفيف المكاييل ، أم الشراء بالبخس ، أم البيع بالغبن ، أم قطع الطريق على المارة ... إلى أخره – يؤدي إلى فقدان الثقة بين المتعاملين ، وسوء السمعة ، خصوصا في ظل سرعة تناقل الأخبار بين الأفراد ، ومعلوم في عرف التجارة ولغة السوق أن التاجر ما هو إلا سمعه – وهذا ما حدث مع قوم شعيب عليه السلام ، حيث تواترت الأخبار بين القبائل عن سوء سلوكهم وقبحهم ، فبالرغم من أنهم ليسوا في حاجة إلى هذه الأفعال الدنيئة والممارسات الخاطئة ، إلا أن الجشع والطمع ملأ قلوبهم ، وأصبحت هذه الرذيلة عادة فيهم ، وحقا مكتسبا ، إلى أن ساءت سمعتهم بين القبائل ، وفقد التجار فيهم الثقة .

حيث قام هؤلاء القوم بارتكاب تلك المخالفات والانحرافات الاقتصادية ، وأكل أموال الناس بالباطل ، ولم يكتفوا بهذا ، بل قاموا بالمجاهرة بتلك المعاصي في العلن

١() د. نواف بن صالح الحليسي : المنهج الاقتصادي في المكاييل والموازين لنبي الله شعيب عليه السلام ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩١ ، ص. ٢٠٢ .

والذي زاد على ذلك أنهم كانوا يقومون بتبرير تلك الأفعال المخزية وهم يسخرون ويلعبون غير عابئين بخطورة أفعالهم على الأفراد وعلى المجتمع [١] .

٢ - انخفاض حجم التجارة وركود السلع والبضائع الخاصة بهم :

وتطوراً طبيعيًا لتلك الحالة المنفلتة التي كان عليها قوم شعيب عليه السلام ، وتلك السمعة السيئة التي نالت منهم ، حدث انخفاض في حجم التجارة الخاصة بهم ، وركود للسلع والبضائع التي يتاجرون فيها ، وكان المفترض عليهم بعد هذه المحنة أن يتعظوا ويستجيبوا لدعوة نبيهم شعيب عليه السلام .

إلا أن ذلك لم يحدث ولم يتعظوا ، بل ازدادوا في الفحش وسوء السلوك ، حتى يتم تعويض تلك الخسارة التي تكبدوها بسبب أفعالهم المشينة .

وكانت النتيجة أن ازداد الأمر سوءًا ، وكلما ركدت تجارتهم كلما ازدادوا في تجاوزاتهم ، وكلما دعاهم نبي الله شعيب عليه السلام حتى يفيقوا من غفلتهم ، تكون الإجابة بالتهكم عليه والسخرية منه ، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [٢] .

١() ناصر محمد السيد اسماعيل : من صور الانحراف الاقتصادي عند قوم شعيب عليه السلام ، مرجع سابق ، ص. ٧ .

(٢) سورة هود : الآية ٨٧ .

٣ – انهيار النسيج الاجتماعي وزيادة الكره والحقد بين الطبقات :

لا تقتصر الآثار السلبية الناتجة عن سوء السلوك الاقتصادي أو الانحرافات الاقتصادية على تدهور الاقتصاد وفقط ، بل تمتد لتشمل أيضًا عدة جوانب ، من أهمها الجانب الاجتماعي والإنساني ، فانتشار هذا الداء واستشرائه في أي أمة من الأمم يعني تدهور الحالة الاقتصادية والمادية والمعنوية والمجتمعية ، وظهور ما يسمى بالطبقية البغيضة ، وهي التي ترفع بعض الناس فوق بعض ، وتجعل لبعضهم حقًا دون الآخر على غير أساس ، أو نظام يحدد ذلك التعامل .

وهذا هو ما حدث لهؤلاء القوم الفجرة ، حيث كانوا يكيلوا بمكيالين ، قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [١] ، فهم قسموا المجتمع لطبقتين لا ثالث لهما ، وضعوا أنفسهم في الطبقة العليا الرابحة دائما ، سواء في البيع أم الشراء ، وهي الطائفة المستغِلة .

ووضعوا كل من يتعامل معهم في الطبقة الدنيا الخاسرة دائما في كل الحالات ، وهى الطائفة المستغَلة ، فالأولى تمتص دماء الثانية بلا رحمة ، والثانية تخضع لظلم وجبروت الأولى بلا منقذ . وتلك هي نظرة اليهود للأمم الأخرى ، فهم يستحلون

(١) سورة المطففين : الآيات ١ : ٥ .

أموالهم وأعراضهم ، ويسطون عليها بكل سبيل ، وبأي وسيلة ، حتى أنهم يستكثرون على الآخرين أن يصلوا لحد الكفاف ، أو حد الاكتفاء [١] .

٤ - إضعاف الكيان الاقتصادي لهؤلاء القوم بعد أن كان في منتهى القوة :

لا شك أن قوم شعيب عليه السلام قد حباهم الله ببعض المميزات التي لم تعط لأحد غيرهم ، فأعطاهم الرزق الوفير ، والحنكة في مسائل البيع والشراء ، والموقع الاستراتيجي بين القبائل ، فما زادهم ذلك إلا طمعًا ، وجشعًا ، وخسة ، فقابلوا الرزق الوفير بالطمع والنهم في أن يكون أكثر وأكثر أيًا كانت الطريقة ، وقابلوا المهارة في البيع والشراء ببخس الناس أثمان حاجاتهم وظلمهم ، وقابلوا موقعهم المميز ومرور القبائل عليهم بقطع الطريق وفرض المكوس .

ومعلوم أنَ من أسباب انحطاط الأمم وانهيار الكيانات الاقتصادية والدول انتشار الانحرافات الاقتصادية ، فيؤدي ذلك بداية إلى كساد الأسواق ثم تباعًا يصل الأمر إلى تدمير المجتمع . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **" إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ، قيل : كيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة "** [٢] .

٥ - غضب الله سبحانه وتعالى على تلك الأقوام وعقابهم :

(١) ناصر محمد السيد اسماعيل : من صور الانحراف الاقتصادي عند قوم شعيب عليه السلام ، مرجع سابق ، ص . ٩ .

٢() رواه البخاري .

هناك علاقة طردية بين فعل الفاحشـــة وارتكاب المخالفات والمحرمات ، وبين غضـــب الله ســبحانه وتعالى على مرتكب تلك الأفعال ، وخصـــوصًـــا إذا كانت تلك المخالفات تنتهك حرمة وخصوصية الآخرين ، عباد الله الآمنين ، قال رسول الله ﷺ : **" لا تَحاسَـدُوا، ولا تَناجَشُـوا، ولا تَباغَضُـوا، ولا تَدابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُـكُمْ علَى بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا المُسْـلِمُ أخُو المُسْـلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هاهُنا ويُشِـيرُ إلى صَـدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ بحَسْـبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّـرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ، دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ. وزاد في رواية »إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم» وأشار بأصابعه إلى صدره "** (١) .

فالقاعدة الأساسية في الإسلام هي الحياة الأمنة والمعاملات الرشيدة بين بني الإنســـان وبعضـــهم البعض ، والتحول من الخبث والطمع ، إلى إيثار الآخرين على النفس ، ولو كان بهم خصـــاصـــة ، وهذا ما لم يفعله قوم شـــعيب عليه السلام بل عاندوا ، وكابروا ، وكلما دعاهم نبي الله إلى الإيمان والالتزام بالتعاليم الإلهية ، ازدادوا فســـقًا وســـوءًا ، إلى أن غضـــب الله عليهم وعاقبهم أشـــد العقاب ، يقول تعالى : **﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾** (٢) .

١() أخرجه البخاري (٦٠٦٤) ، ومسلم (٢٥٦٤) .

٢() سورة الشعراء : الآية ١٨٩ .

وفي موضع آخر: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (١)

وفي موضع ثالث : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ (٢) .

والمتأمل في الواقع اليوم يلحظ تلك الآثار السيئة لهذا اللون من الفساد الاقتصادي ، إضافة إلى وجود علاقة قوية بين ذلك النوع من الفساد والانحرافات الاقتصادية وبين الفقر، مما يدفع المواطنين إلى الهجرة من أوطانهم (٣) .

(١) سورة هود : الآية ٩٤ .

٢() سورة الأعراف : الآية ٩١ .

٣() حمزة عبد الله سعادة : صور الفساد الاقتصادي في القصص القرآني ، مجلة قبس للبحوث والدراسات الشرعية ، العدد ٥ ، ٢٠٢٠ .

المبحث الثالث

المنهج النبوي لمعالجة انحرافات قوم مدين ومدى استجابتهم

تعرَّضَ شُعيْب عليه السلام لِمَا تعرَّض له سائرُ الأنبياء والمرسلين من ألوان الأذى والسخرية والمطاردة والمكايدة ، والتهديد بالرجم والإخراج والقتل ، والاتهام بالسفاهة والضلالة والسحر والجنون ، وغير ذلك من الصفات القبيحة التي اتصف بها الطُّغاةُ والمجرمون عبر العصور ، وقد سجَّل القرآنُ الكريم ما جاء على لسان "أصحاب الأيكة" مِمَّا رموا بهِ نبيَّهم شعيب عليه السلام :

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ (١) ، وقال تعالى : **﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾** (٢) ، وقال تعالى : **﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾** (٣) . وقال تعالى : **﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾** (٤) ، كما قال المولى

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٨٨ .

٢() سورة الأعراف : الآية ٩٠ .

٣() سورة هود : الآية ٨٧ .

٤() سورة هود : الآية ٩١ .

جلَ وعلا : ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ۞ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۞ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١) .

ولو تمت الملاحظة بدقة لتبين أن تلك المقولات الظالمة التي يطلقها أهلُ الضلال ، وتلك الأفكار والسلوكيات الخاطئة، مازالت تتكرر في مختلف العصور والأزمنة ، فهي متجددة ومستمرة تحاول إسكات الحق وترهيبه ، والصدِّ عنه ، والبغي بغير الحق (٢) .

ولقد حرص الحبيب المصطفى ﷺ على مراقبة التعاملات ومنع الغش ، فاهتم بتنظيم السوق وما يعزز الثقة فيه ، ويزيد من حجم التداول ، كما حذر من إبرام العقود الباطلة التي يشوبها الغش والغبن ، ودعا إلى توحيد الموازين والأطوال والأوزان ، بحيث تكون معيارية لعدم العبث بها أو التطفيف فيها (٣) .

وعند عودتنا للوقائع والأحداث التي تمت بين شعيب عليه السلام وقومه ، لتبين أنه عليه السلام قام بتشخيص الأدواء والأمراض الاقتصادية لقومه تشخيصًا دقيقًا ، ثم اتبع منطقًا ومنهجاً لعلاج تلك الانحرافات الاقتصادية والأمراض المستوطنة بهم ، واستخدم أساليب راقية وبليغة في محاوراته مع قومه . وهنا يجب أن يتم التركيز على أهمية

---

(١) سورة الشعراء : الآية ١٨٥ : ١٨٧ .

٢() محمد عبدالشافي القوصي : روعة الأسلوب الدعوي في القرآن الكريم : سيدنا شعيب نموذجا ، متوافر على الرابط : https://www.alukah.net/sharia/0/130454/ .

٣() د. فؤاد عبد الله العمر : مقدمة في تاريخ الاقتصاد الإسلامي وتطوره ، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، ١٤٢٤ هـ ، بحث رقم ٦٢ ، ص. ٢٨٠ .

التشـخيص الدقيق والتجهيز الممنهج للمشـكلة قبل البدء في حلها ، فكثيرا ما نرى أنه يتم وضـع الحلول للمشكلات دون تحقيق النتيجة المرجوة ، وبعد تكرار المحاولات التي تؤدي للإرهاق المادي والمعنوي يتبين أن تلك الحلول لا تصـلح بالمرة لتلك المشـكلة ، وأن الحلول المرجوة هي أبسط من ذلك بكثير ، لأن التشخيص تم بطريقة خاطئة ..

ولذا فإن أسلم طريق ، وأبسط وسيلة لحل أية مشكلة أو معضلة ، هو التشخيص الجيد والدقيق لتلك المشـكلة وذلك المرض ، والتأكد من السـبب المؤدي لها ، حتى يتم علاج الأسباب وليس علاج الأعراض الناتجة عنها .

وسـوف يناقش هذا المبحث منهج نبي الله شـعيب عليه السلام في مواجهة انحراف قومه ومدى استجابتهم له في مطلبين كالتالي :

المطلب الأول : منهج نبي الله شعيب عليه السلام في معالجة انحرافات قومه .

المطلب الثاني : موقف قوم مدين ومدى استجابتهم لدعوة نبيهم والعقوبة الربانية .

المطلب الأول

منهج نبي الله شعيب عليه السلام في معالجة انحرافات قومه

حاور سيدنا شُعيْب عليه السلام قومه بأروع ما جاد به اللسانُ العربيُّ من أساليب البيان ، حيث التزم أدب الحوار وقواعده المثلى ، واستخدم الرقة واللطف في ألفاظه ، لتأليف القلوب ، وإزالة الحواجز النفسية ، فخاطبهم بأسلوب النداء : ﴿ **يا قوم** ﴾ ، يقول رب العزة في القرآن الكريم على لسان نبي الله شعيب عليه السلام : ﴿ **وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ (١) .

فأخذ نبي الله شعيب عليه السلام في نصحهم وإرشادهم بالحسنى ، ولما لم يستجيبوا توعدهم بالرجم والطرد من رحمة الله .. يقول تعالى : ﴿ **وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ** ﴾ (٢) ، ومذكراً إياهم بما قد يكون قد بقي عندهم من أخلاق أو قيم ، وأنه يريد الخير لهم وأنه ليس موكلًا عليهم ولا حفيظًا عليهم ولا حارسًا لهم ، وإنما هو رسول يبلغهم رسالات ربه وأن كل غايته وما يريده هو خير لهم ، قال تعالى : ﴿ **بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ** ﴾ (٣) .

أخذ قومه يحاجونه بأسلوب جدلي وتهكمي مريض وصف المصحف الشريف قولهم : ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي**

١() سورة هود : الآية ٨٥ .

٢() سورة هود : الآية ٨٤ .

(٣) سورة هود : الآية ٨٦ .

أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [١] ، فكيف يتركون عبادة آبائهم للأشجار والنباتات وصلاة شعيب تأمرهم أن يعبدوا الله وحده ، فرأوا أن هذا تجرؤ من شعيب .

لكن لم ييأس نبي الله شعيب من قومه فحاول إيقاظ مشاعرهم بتذكيرهم بمصير من قبلهم من الأمم ، وكيف دمرهم الله بأمر منه ، فذكرهم بقوم نوح ، وبقوم هود ، وبقوم صالح ، وبقوم لوط ، وأراهم أن سبيل النجاة هو العودة لله تائبين مستغفرين . فالله هو الغفور الرحيم ، لكن كلام نبي الله شعيب ما زاد قومه إلا أعراضاً وبعداً عنه قائلين له كما وصفهم القرآن الكريم : **﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾** [٢] .

لقد كان ضعيفًا بمقياسهم البشري الخاطئ ، وذلك لأن الفقراء والمساكين هم فقط من اتبعوه ، أما علية القوم فاستكبروا وأصروا على طغيانهم ، ونسوا وأنكروا أن القوة بيد الله ، يقول المولى جلَ وعلا : **﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾** [٣] ، وعندما أقام شعيب الحجة عليهم ، غيروا أسلوبهم ، فتحولوا من السخرية إلى التهديد واستمروا بكفرهم وتهديدهم قائلين له : لولا أهلك وقومك ومن يتبعك لحفرنا لك حفرة وقتلناك ضرباً بالحجارة ، كما جاء في القرآن الكريم : **﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾** [٤] ، لكن شعيب تلطف معهم وتجاوز عن الإساءة إليه

١() سورة هود : الآية ٨٧ .

٢() سورة هود : الآية ٩١ .

٣() سورة الطلاق : الآية

٤() سورة هود : الآية ٩١ .

وسألهم سؤالا كان هدفه إيقاظ عقولهم : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ الله ﴾ (١) .

لكن قوم شعيب ضاقوا به ذرعاً ، فاجتمع رؤساء قومه ، وقرروا تصعيد الأمر بالدخول لمرحلة جديدة من التهديد ، فهددوه أولا بالقتل ، ثم بالطرد من قريتهم ، فخيروه بين التشريد ، أو اتباع ديانتهم وملتهم التي تعبد الأشجار والنباتات ، ولكن نبي الله شعيب عليه السلام أفهمهم أن مسألة اتباع ملتهم مسألة لا يمكن حتى التفكير بها ، فهو الذي يدعوهم إلى التوحيد ، فكيف يدعونه إلى الشرك والكفر؟ (٢) . ثم دخل الصراع والمكابرة بقوم شعيب مرة أخرى إلى التصعيد بأن بدأوا يطالبوه بأن ينزل عليهم العقاب ، فأنتقل الصراع إلى تحد من لون جديد . حيث طالبوه أن يسقط عليهم كسفا من السماء إن كان من الصادقين ، وراحوا يسألونه عن عذاب الله ، فأوحى الله إليه أن يخرج المؤمنين ويخرج معهم من القرية .

وخرج شعيب والمؤمنين ، وجاء أمر الله كما تم وصفه في محكم التنزيل : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ (٣) ، فكان الرد الإلهي أن جاءتهم غمامة كبيرة أظلتهم ففرحوا بها وتصوروا أنها تحمل لهم المطر .. ثم فوجئوا بالغضب ، وأنهم أمام عذاب عظيم في

(١) سورة هود : الآية ٩٢ .

٢() إيهاب زكريا : قصص الأنبياء ، مرجع سابق .

٣() سورة هود : الآية ٩٤ ، ٩٥ .

يوم عظيم . أدركتهم صيحة جبارة من السماء جعلت كل واحد منهم يجثم على وجهه في مكانه الذي كان فيه ، لقد صعقت الصيحة كل مخلوق حي ، فلم يستطع أي منهم أن يتحرك أو يجري أو يختبئ أو ينقذ نفسه ، كل ما استطاعوا فعله هو أن يجثم كل شخص في مكانه مصروعا بالصيحة [١] .

وباستقراء منهج نبي الله شعيب عليه السلام في تعامله مع قومه يتبين أنه قام باتباع منهج علمي مدروس ومنظم ، بعيدا كل البعد عن أي عشوائية ، حيث تدرَّج مع قومه في أسلوب الدعوة : فبعدما خاطبهم بـ"**أسلوب النداء**" ، استخدم "**أسلوب الإغراء**" ، ثم "**أسلوب الشفقة**" ، ثمَّ انتقل إلى "**أسلوب النهي**" ، ثمَّ ذهب إلى "**أسلوب التذكير**" ، ثمَّ "**أسلوب الترغيب**" ، ثمَّ "**أسلوب التنبيه**" ، ثمَّ مالَ إلى "**الترهيب**" ، ثمَّ استخدم "**أسلوب الاستفهام**"، ثم "**أسلوب النفي**" ، "**فأسلوب التمني**" ، "**فأسلوب الرجاء**" ، ثم "**أسلوب التحذير**" ، "**فأسلوب التحقير**" ، "**فأسلوب الإقناع**" ، "**فأسلوب الأمر**" ، "**فالاسترحام**" ، "**فالتوبيخ**" ، "**فالتهويل**" ، "**فالتهديد**" ، "**فالتضرع**" ، وختم بـ"**أسلوب التبكيت والتقريع**".

ونوضح تلك المراحل المتتالية والمتتابعة والمتوازنة كالآتي [٢] :

١ – محاولة النبي شعيب عليه السلام هدايتهم ، وذلك بتواضعه ولطفه وصبره عليهم ، واستخدام "**أسلوب النداء**" واللين من الكلام : ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ**

١() موقع ويكيبيديا : متوافر على الرابط : https://ar.wikipedia.org/wiki/ .

٢() سعيد محمود : دروس من قصة نبي الله شعيب عليه السلام ، مرجع سابق .

مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَـــنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ [١] .

ودعاهم إلى التوحيد صـــراحة : **﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُـــعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾** [٢] .

٢ – ثم أعقب ذلك "**أسـلوب الإغراء**" وذلك لمدِّ جسـور الود ، وجرّهم لسـماع دعوته ، فقال : **﴿ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ ﴾** [٣] .

٣ – ثم استخدم "**أسلوب الشفقة**" قائلا: **﴿وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾** [٤] .

٤ – ثمَّ انتقل إلى "**أسـلوب النهي**" ، فحذَّرهم مِن البغي والإفسـاد في الأرض ونهاهم عن تخســير الكيل والميزان ، والظلم والجشــع في المعاملات ، وهو بذلك قام بتعرية الجاهلية .. وكشف أعمالها على حقيقتها ، فمن جوانب البدء بالدعوة فضح ممارساتهم الحياتية ، يقول الله تعالى : **﴿ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْـــطِ وَلاَ تَبْخَسُـــواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾** [٥] .

ويتضـــح من ذلك أن مهمة النبي في دعوته لقومه ارتكزت على دعوتهم إلى أن يعبدوا الله ويستقيموا على منهاجه ، وألا يشركوا به شيئًا ، وتعرية واقعهم الجاهلي المناقض لادعائهم بأنهم على خير ، أو أنهم مؤمنون .

١() سورة هود : الآية ٨٨ .

٢() سورة الأعراف : الآية ٨٥ .

٣() سورة هود : الآية ٨٤ .

٤() سورة هود : الآية ٨٤ .

(٥) سورة هود : الآية ٨٥ .

فلقد كشف نبي الله شعيب عليه السلام ممارسات قومه لا ليناقشهم حولها ، أو ليحاورهم حوار الأنداد ، وإنما بأسلوب النهي الجازم الذي يدل على مطالبتهم بالتخلي عن ممارساتهم لهذه الموبقات الاجتماعية والاقتصادية وأن هذا من مقتضى الإيمان بالله .

٥ – ثم ذهب إلى "**أسلوب التذكير**" وذلك بِنِعَم الله وفضله وآلائه ، مثل : كثرة النسل بعد القِلَّة ، والغِنَى بعد الفقر ، فقال : ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ** ﴾ (١) وقال : ﴿ **وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ** ﴾ (٢) ، فلابد من إثارة التقوى في حياة الناس وربط التقوى بشيء هم على بينة منه ، وهو وجودهم وخلقهم ، فأنتم مخلوقون ، ومن قبلكم مخلوقون ، والخالق العظيم يجب أن يُتَّقَى ويُخْشى فيطاع .

٦ – اتجه بعد ذلك إلى "**أسلوب الترغيب**" ، فقال: ﴿ **بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ (٣) .

٧ – مال بعد ذلك إلى استخدام "**أسلوب التنبيه**" ، فدعاهم إلى الإخلاص ، ومراقبة الله عز وجلَ ، فقال : ﴿ **وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ** ﴾ (٤) .

١() سورة الأعراف : الآية ٨٦ .

٢() سورة الشعراء : الآية ١٨٤ .

٣() سورة هود : الآية ٨٦ .

٤() سورة هود : الآية ٨٦ .

٨ – عقب ذلك لجأ إلى استخدام "**أسلوب الترهيب**" قائلًا : ﴿ **وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ (١) .

٩ – ثم دعاهم للتحاور والمناظرة وعدم الصدام حتى يقضي الله بينهم : ﴿ **فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ (٢) .

١٠ – ومن كثرة محاولاته وحرصه المستمر على هدايتهم ، جمع واستخدم أربعة أساليب في جملة واحدة ، تعتبر غاية في الفصاحة والبلاغة حين جمع بين أسلوب الاستفهام ، والنفي ، والتمنّي ، والرجاء ، فنجده استخدم "**أسلوب الاستفهام**" في قوله : ﴿ **يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا** ﴾ (٣) ، ومنه إلى "**أسلوب النفي**" : ﴿ **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ** ﴾ (٤) ، ومنه إلى "**أسلوب التمنّي**" : ﴿ **إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ** ﴾ (٥) ، وأخيرًا "**أسلوب الرجاء**" الذي جمع فيه بين التفويض والتوكُّل والإنابة (٦) ، فقال : ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ (٧) .

١() سورة الأعراف : الآية ٨٦ .

٢() سورة الأعراف : الآية ٨٧ .

٣() سورة هود : الآية ٨٨ .

٤() سورة هود : الآية ٨٨ .

٥() سورة هود : الآية ٨٨ .

٦() محمد عبدالشافي القوصي : روعة الأسلوب الدعوي في القرآن الكريم ، مرجع سابق .

(٧) سورة هود : الآية ٨٨ .

١١ – لكن القوم بالغوا في عداوة نبيّهم ، فاضطرَّ شعيب عليه السلام إلى تغيير خطابه الدعوي لعلَّه يُجدي نفعًا ، فاتجه بعد ذلك إلى "**أسلوب التحذير**" حيث ذكرهم بما حدث لمن قبلهم من ألوان العذاب ، وألا يؤدي بغضهم له على تركهم الحق : ﴿ **لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ** ﴾ [١] ، أيْ : لا تحملنَّكم مخالفتي وبُغْضكم ما جئتكم به على الاستمرار في ضلالكم ، فيحل بكم من العذاب ما حلَّ بالمكذِّبين من الأقوام السالفة .

١٢ – ومنه انتقل إلى "**أسلوب التحقير**" : ﴿ **قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا** ﴾ [٢] .

١٣ – ثمَّ حاول مرة أخرى مستخدمًا "**أسلوب الإقناع**" ، فقال : ﴿ **وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ [٣] ، وقال : ﴿ **قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾ [٤] ، وفي هذا إشارة إلى المعجزات التي أجراها اللهُ على يديه ، ولم يذكرها القرآنُ تفصيلًا ، وإنما دلَّت عليها الآية إجمالًا . فلم يحدد النص البينة أو الآية أو المعجزة التي أعطيت لشعيب عليه السلام ، ولكن لعل البينة التي أشار إليها هي : أنهم على علم بما حدث لقوم لوط ومَن قبلَهم فتكفيهم تلك المصائر آية وبينة ، أو أن البينة في مكانته فيهم ، وقوة حجته الدافعة التي يعرض بها دعوته ، ومما يدعم هذا ما ورد عن رسول الله ﷺ بأن

١() سورة هود : الآية ٨٩ .

٢() سورة الأعراف : الآية ٨٩ .

٣() سورة الأعراف : الآية ٨٩ .

٤() سورة الأعراف : الآية ٨٥ .

شعيباً عليه السلام كان خطيب الأنبياء ولعل البينة تأتي من أنهم كانوا قليلاً فكثرهم ، ولعل البينة هي مجيء النبي نفسه وتصديقه بربه والتزامه بما جاءه ، ولعل كل ذلك كان هو البينة والآية المقدمة لقوم شعيب [١] .

١٤ – انتقل بعد ذلك إلى استخدام "**أسلوب الأمر**" ، فحضَّهم على الاستغفار والتوبة : ﴿ **وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ** ﴾ [٢] ، فيطلب منهم مع عبادة الله ، وتقواه ، وطاعته القيام بالاستغفار ، فمن شروط العبادة .. الخضوع والطاعة ، والتوجه إلى الله جلَ وعلا بالاستغفار وطلب التوبة ، لأن الله رحيم بعباده ، ودود معهم ..

وهما صفتان تفيدان مدى الالتصاق بين العباد وخالقهم ، وأن وصف الله سبحانه بالمنتقم ، ما هو إلا أثر من آثار رحمة الله بالمؤمنين ، فالمجرمون الذين مُنِحُوا الفرصة تلو الأخرى ، وأُمْهِلوا في حياتهم الدنيا ، ومع هذا يظلُّون على إصرارهم وكفرهم ، فيجب أن ينالوا عقابهم ، فالعقاب نتيجة طبيعية لأعمالهم وبما كسبت أيديهم لأن من عدل الله ورحمته عدم المساواة بين المجرمين والصالحين ، يقول تعالى في محكم التنزيل : ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ [٣] .

١٥ – ثمَّ خاطبهم بـ"**أسلوب الاسترحام**" : ﴿ **إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ** ﴾ [٤] .

---

[١] أ . د / عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع : تأملات حول قصة نبي الله شعيب عليه السلام من قصص القرآن الكريم ، متوافر على الرابط : https://prof-alshujaa.net/?p=404 .

[٢] سورة هود : الآية ٩٠ .

[٣] سورة القلم : الآية ٣٥ ، ٣٦ .

[٤] سورة هود : الآية ٩٠ .

١٦ – ثم أوضح منهجه وأنه لا يريد إلا الخير والصلاح : ﴿ **إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ** ﴾ [١] ، فأعرضوا عنه قائلين : ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا** ﴾ [٢] ، ويستمرون في تهديهم قائلين : ﴿**وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ** ﴾ [٣] ، لولا أهلك وقومك ومن يتبعك لحفرنا لك حفرة وقتلناك ضربا بالحجارة .

١٧ – ثمَّ لجأ إلى "**أسلوب التوبيخ**" ، فقال : ﴿ **أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ [٤] .

١٨ – ثمَّ تدرَّج صاعدًا إلى "**أسلوب التهويل والتخويف**" ، فقال : ﴿ **إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ [٥] .

١٩ – ولَمَّا تمادوا في كُفْرهم وعنادهم ، لجأ إلى "**أسلوب التهديد**" : ﴿ **وَ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ** ﴾ [٦] .

---

[١] سورة هود : الآية ٨٨ .

[٢] سورة هود : الآية ٩١ .

[٣] سورة هود : الآية ٩١ .

[٤] سورة هود : الآية ٩٢ .

[٥] سورة هود : الآية ٩٢ .

[٦] سورة هود : الآية ٩٣ .

٢٠ - ولَمَّا بلغ الغباءُ بالقوم ذِروته ، واستعجلوا العذاب ، اضطروا نبيَّهم إلى اللجوء لـ"**أسلوب الاستنصار**" ، حيثُ تضرَّع إلى الله ، مُستنصِرًا إيَّاه على القوم المجرمين : ﴿ **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ** ﴾ (١) .

٢١ - وأخيرا وقد هلكَ "أصحابُ الأيكة" وحلَّ بهم العذاب ، فنعاهم نبيُّهم إلى أنفسهم ، بـ "**أسلوب التبكيت والتقريع**" مِن أجل تثبيت الحجَّة عليهم : ﴿ **يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ** ﴾ (٢) .

أيْ : قد أبلغتكم رسالات ربي ، ونصحتُ لكم ، وحرصتُ على هدايتكم بكل ما أستطيع ، فلستُ بآسِفٍ عليكم ولا حزين .

المطلب الثاني

موقف قوم مدين ومدى استجابتهم لدعوة نبيهم والعقوبة الربانية

مثلما فعلت الأمم السابقة التي أرسل الله إليهم أنبياء من مواقف ، فقد استقبل قوم مدين نبيهم بالتكذيب والسخرية والكفر به وبرسالته ، وبالرغم من كل المحاولات التي قام بها نبي الله شعيب عليه السلام ، وكافة الأساليب التي لجأ إليها لهداية قومه ، إلا أن غبائهم بلغ ذروته ، وعنادهم بلغ شدته ، وتمادوا في كفرهم ، وأخذوا يحذرون بعضهم البعض بأن من يتبع شعيبًا فهو خاسر ، قال تعالى :

١() سورة الأعراف : الآية ٨٩ .

٢() سورة الأعراف : الآية ٩٣ .

﴿ وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ [١] ، وفعلوا الآتي :

١ – اتهموه بالسحر أو أنه مسحور ، أي أنه غير متزن العقل ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ [٢] .

٢ – اتهموه بالكذب والاضطراب وأنه بشر ليس له فضل عليهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [٣] ، وهذه مقولة كل الأمم المكذبة بأنبيائهم ، حتى نبينا وسيدنا محمد ﷺ لم يسلم من تلك [٤] .

٣ – وبالنسبة لمسألة التوحيد فردوه وكذبوه وسخروا منه ، واتهموه بالأنانية ، كما تم اتهامه أنه ولمصلحته الشخصية فقط يريد أن يغير الأوضاع التي هم يمارسونها منذ القدم ، متبعين فيه آباءهم وأجدادهم ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [٥] .

١() سورة الأعراف : الآية ٩٠ .

٢() سورة الشعراء : الآية ١٨٥ .

(٣) سورة الشعراء : الآية ١٨٦ .

(٤) سعيد محمود : دروس من قصة نبي الله شعيب عليه السلام ، مرجع سابق .

(٥) سورة هود : الآية ٨٧ .

وهذه دعوى ستواجه أصحاب الحق دائمًا وأبداً ، فمن أنت حتى تغير ما كان عليه الآباء والأجداد .. ؟ وتستبدل نظاماً بنظام ، كما قال جلَ وعلا : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١) .

٤ - أما تخسير الميزان والمعاملات المحرمة فقابلوا ذلك بسخرية شديدة وتهكموا عليه ، قال تعالى : ﴿ أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (٢) ، فهم يسخرون من نبيهم بالتعريض بالحلم والرشد ، وكأنهم يقولون إن صفة الحلم والرشد ليست إلا لمن سار على منهاجهم ومنهاج آبائهم ، فكأنهم يقولون : هذه أنظمتنا الاقتصادية ما شأنك بها ؟ لماذا تتدخل فيها ؟ وأنت رجل حليم ورشيد فكيف تسمح لنفسك أن تتدخل في مناهجنا الاقتصادية وسياستنا المالية ؟ فهل هذا من حلمك ورشدك أن تهدم أنظمتنا التي صنعناها لأنفسنا منذ أمد طويل ، فقد عاش عليها أجدادنا وآباؤنا ، ونحن على آثارهم سائرون ؟ وما علاقة الصلاة بالاقتصاد والمال ؟ .. وما علاقة الدين بالحياة التي نحياها ؟ .. الدين له مَعْبَدُه ، والحياة تُدار بما تراه عقولنا وعقول من سبقنا !

(١) سورة الشعراء : الآية ١٧٦ .

٢() سورة هود : الآية ٨٧ .

٥ – ادعوا الجهل وعدم المعرفة ، وأن ما يقوله غامض وغير معروف لديهم فكانوا كلما قام بنصحهم ينتظرون حتى يفرغ من كلامه ، ويقولون له لم نفهم ، تحدث مرة أخرى بوضوح ، قال تعالى : ﴿ **قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ** ﴾ (١)

٦ – عقب ذلك قاموا بتطوير موقفهم وأخذوا في تهديد نبي الله شعيب عليه السلام وتوعدهم له وللمؤمنين الذين اتبعوه ، حيث قاموا برفض أي صورة للدعوة وقاموا بمعايرته وتهديده الصريح بأنه ضعيف ، وأنه لولا أهله لرجموه وقتلوه .

قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ** ﴾ (٢) ، ومن عجائب الجاهلية أنهم وصفوا شعيباً عليه السلام بالضعف ، وجعلوه سبباً لعدم قبول دعوته إليهم ، وكان عليهم أن يفكروا مليًا في ذلك ، ولكن الجاهلية لا تعترف إلا بالقوة والبطش ، ولا تخضع إلا لمن يستخدم معهم الهيمنة والجبروت فتستذلهم وتقهرهم . وأعلنوا ببجاحه وفجور أنه لولا مراعاة قومه لرجموه وقتلوه ، وهي وسيلة بشعة ، فعصبية القبيلة والعشيرة هي المرعية عندهم ، وليس عصبية العقيدة ، وهذا الموقف ينبئ عن هبوط القيم لديهم ، ورفضهم للقوة الحقيقية التي يحتمي بها شعيب عليه السلام وهي قوة الله ، وقالوا : ﴿ **وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ** ﴾ (٣) ، فالعزة في نظرهم هي الأهل والعشيرة .

---

(١) سورة هود : الآية ٩١ .

٢() سورة هود : الآية ٩١ .

(٣) سورة هود : الآية ٩١ .

٧- الانحرافات الاقتصادية لقوم مدين وانعكاساتها على الاستقرار الاجتماعي

٧ - أخذوا ينكرون بشدة وعنف أن يتدخل الدين في الاقتصاد ، وأن تتصل المعاملات بالاعتقاد ، أو حتى بالأخلاق من غير اعتقاد ، فما للدين والمعاملات الربوية ؟ وما للدين والمهارة في الغش والسرقة ما لم يقعا تحت طائلة القانون الوضعي؟ لا .. بل إنهم يتبجحون بأن الأخلاق إذا تدخلت في الاقتصاد تفسده ، وينكرون على من يجعل للنظريات الأخلاقية صلة بالنظريات الاقتصادية الغربية مثلاً ، ويعدون ذلك تخليطاً من زمن مضى !

٨ - وأخيراً التهديد والوعيد بالإخراج ، فلقد خلصوا إلى ذات الموقف الذي يمارسه الملأ ضد أي أحد يدعو إلى دين الله ، قال تعالى : ﴿ **قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا** ﴾ [١] ، فالذين يقفون أمام الحق دائماً هم الطواغيت من الملأ الذين استكبروا ، وأن الحوار ينقطع من أول جولة بالتهديد والوعيد ، ثم التنفيذ ، فإما أن يعود النبي ومن معه إلى ملة أقوامهم ، وإما سينفذ فيهم ما هددوهم به ، وهو الطرد وليس القتل مراعاة لقومه وعشيرته [٢] .

وهنا قام بتحذيرهم مِن نزول العذاب ، قال تعالى : ﴿ **وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ**

---

(١) سورة الاعراف : الآية ٨٨ .

(٢) أ . د / عبد الرحمن الشجاع : تأملات حول قصة نبي الله شعيب عليه السلام ، مرجع سابق .

مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ [١] ، وكان الرد أنهم ازدادوا في التبجح والاستهانة بعذاب الله ، يقول تعالى : **﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾** [٢] .

وهنا تضرُّع النبي ورفع شكواه إلى ربه سبحانه وتعالى [٣] ، قائلا : **﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾** [٤] ، **﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾** [٥] .

راح قوم شعيب يطالبونه بأن يسقط عليهم كسفا من السماء إن كان من الصادقين ، ويسألونه عن عذاب الله ، أين هو ؟ وكيف هو ؟ ولماذا تأخر ؟ ولما وجد شعيب العناد من قومه واستهانتهم بعذاب الله ، دعا عليهم ، وانتظر أمر الله ، إلى أن أوحى الله إليه أن يخرج المؤمنين ويخرج معهم من القرية ، وخرج شعيب ، وجاء أمر الله تعالى : **﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾** [٦] ، فهي صيحة واحدة ، صوت جاءهم من غمامة أظلتهم ، ولعلهم فرحوا بما تصوروا أنها تحمله من المطر ، ثم فوجئوا أنهم أمام عذاب عظيم . أدركتهم صيحة جبارة جعلت كل واحد منهم يجثم على

---

(١) سورة هود : الآية ٨٩ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٨٧ .

(٣) سعيد محمود : دروس من قصة نبي الله شعيب عليه السلام ، مرجع سابق .

٤() سورة الأعراف : الآية ٨٩ .

٥() سورة هود : الآية ٩٣ .

٦() سورة هود : الآية ٩٤ .

وجهه في مكانه الذي كان فيه في داره ، فأخذتهم الرجفة والصيحة ، وأرسل الله عليهم شرارا ونارا فهلكوا [١] . وصعقت الصيحة كل مخلوق حي ، ولم يستطع أن يتحرك أو يختبئ أو ينقذ نفسه ، فسبحان الله القوي القاهر فوق عباده [٢] .

ولقد عذَّبهم الله تعالى بثلاثة أنواع من العذاب ، فالبدايةً كانت الظلة ، وهي "سحابة عظيمة فيها شرر مِن نار ولهب ووهج عظيم" ، قال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [٣] .

ثم بدأ العذاب بالصيحة ، وهو "صوت هائل أسكتهم وملأ قلوبهم رعبًا" ، قال تعالى : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [٤] . تلى ذلك عذاب الرجفة وهي "هزة أرضية مِن تحتهم أزهقت الأرواح وأخمدت الأجسام" قال تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [٥] ، أيْ ارتجفتْ بهم الأرض ، فهرولوا يَصطرخون . وأخيراً تنزَّلَتْ عليهم نارٌ من السماء ، فأحرقتهم جميعاً وأنهت عليهم ، وهذا لون من ألوان الإعجاز في التسلسل النزولي للقرآن المعظم [٦] .

١() بسنت الشرقاوي : قصة النبي شعيب وأصحاب الأيكة ، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢١/٦/١٨، متوافر على الرابط : https://www.shorouknews.com/news/view.e .

٢() إيهاب زكريا : قصص الأنبياء ، مرجع سابق .

٣() سورة الشعراء : الآية ١٨٩ .

٤() سورة هود : الآية ٩٤ .

٥() سورة الأعراف : الآية ٩١ .

٦() محمد عبدالشافي القوصي : روعة الأسلوب الدعوي في القرآن الكريم ، مرجع سابق .

هكذا سنة الله في القوم الظالمين على مر العصور والسنين ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ [١]

هكذا عاقبة كل مَن أعرض عن الحق [٢] ، وعن دعوة الرسل ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ [٣] .

١() سورة الأعراف : الآية ٩٢ .

٢() سعيد محمود : دروس من قصة نبي الله شعيب عليه السلام ، مرجع سابق .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٩٣ .

المبحث الرابع

كيفية الاستفادة من المنهج النبوي وتطبيقه على الوضع الحالي

تناول القرآنُ الكريم أساليب الحوار الراقي وآدابه من خلال دعوة الأنبياء والرسل لأقوامهم ، والمناهج التي سلكوها لإقناع المخاطبين بها ، وحثهم على الاستماع لكلام المولى جلَ وعلا ، كما عرض الخصال الحميدة التي اتصف بها كل من قام بالدعوة إلى توحيد الله تعالى وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، كالحلْم ، والصبر ، والتواضُع ، وتحمُّل الأذى ، والإخلاص ، وحُسْن التوكُّل ، والقدرة على الإقناع باستخدام أساليب الأمر والنهي ، والترغيب والترهيب ، والتلطُّف ، والاسترحام ، والنُّصْح ، والتذكير ، والتمنِّي والرجاء والدعاء ، والتنبيه ، والعتاب ، والتحذير ، وغير ذلك من الأساليب التي يمكن من خلالها الوصول إلى مفاتيح القلوب ، وفِقْه النفوس ، وشرح الصدور .

وقد لجأ سيدنا شُعيْب عليه السلام لكل هذه الأساليب أثناء تبليغ دعوتهِ لقومه ، فكان بارعًا في المجادلة ، وقال عنه النبيُّ ﷺ: ﴿**ذاك خطيب الأنبياء**﴾ [١]، حيث أُرسِلَ لقوم كُفَّارًا يقطعون السبيل ويُفسِدون في الأرض ، ومن أسوأ الناس معاملةً ؛ يبخسون المكيال والميزان، ويُطفِّفونَ فيهما فيأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص ، ويعبدون شجرة [٢] .

وسوف يناقش هذا المبحث كيفية الاستفادة من المنهج النبوي من خلال مطلبين :

المطلب الأول : الدروس المستفادة من التجربة النبوية الاقتصادية .

---

[١] رواه الحاكم في مستدركه ، ج ٢ ، ص. ٥٦ ، والطبري في تاريخ الأمم والرسل والملوك ج ١ ، ص. ١٩٨ ، وتفسير بن أبي حاتم ج ١١ ، ص. ١٣ .

[٢] محمد عبدالشافي القوصي : روعة الأسلوب الدعوي في القرآن الكريم ، مرجع سابق .

المطلب الثاني : كيفية تطبيق المنهج النبوي على الوضع الحالي .

المطلب الأول

الدروس المستفادة من التجربة النبوية الاقتصادية

مِن عبقرية سيدنا شُعيْب عليه السلام أنه حاور قومه في القضايا الكبرى ، والموضوعات الجوهرية التي يقوَم عليها الدِّين ، ويتحقَّق بها الإيمان ، ولم يُشـــغِلهم بالأمور الثانوية أو الهامشـية ، فقد دعاهم إلى وحدانية الله وطاعته ، ثمَّ نهاهم عن التطفيف في الكيل والميزان ، وحذَّرَهم من الإفســاد في الأرض ، والصــدِّ عن ســبيل الله ، وفنَّد مزاعمهم الكاذبة ، وصبَر على أذاهم ، وأقام عليهم الحجَّة .

وباســتقراء منهج نبي الله شــعيب عليه السلام في حواره مع قومة يتبين أن هناك عدة دروس مستفادة من تلك التجربة ، نذكر منها الآتي :

١ – اختلاف أساليب الدعوة وفقا للظروف المحيطة :

فلقد استخدم نبي الله شعيب عليه السلام عدة أساليب مختلفة ومتنوعة ، فلكل موقف رد فعل معين ، وأســلوب مختلف عن غيره ، وهو ما يســمى بفن التعامل مع الغير . كما أن لكل قصــة تسلسل زمني ، وتطور في الأحداث ، وتدرج معين في المراحل ، وقد يتطلب الأمر في بعض الأحيان كســر القواعد ومخالفة هذا الترتيب الزمني والتسلسل للأحداث وهذا ما نبهنا إليه رسولنا الحبيب سيدنا محمد ﷺ فيما تلاه عن رب العزة في سورة الكهف ، قال تعالى : ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا**

قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ [١] ، فكانت بداية قصة تعليم سيدنا موسى عليه السلام من قبل سيدنا الخضر عليه السلام هي خرق السفينة .

ثم تلا ذلك قول الله تعالى : **﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾** [٢] ، فكانت المرحلة الثانية بعد خرق السفينة هي قتل الطفل ، ولو سارت القصة وفقا للتسلسل الطبيعي لأحداث الأمور لكانت المرحلة الثالثة هي حرق البلدة بأكملها وتدميرها ، إلا أن سيدنا موسى تفاجأ بأن ما تلى ذلك هو مرحلة بناء وتعمير حيث قاما ببناء الجدار .

قال تعالى : **﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾** [٣] ، فنتعلم من هذا السياق ، وذاك الترتيب والتسلسل أنه لا يشترط أن يتطور الأسلوب للأعلى والأشد دائما ، فتارة بالشدة وتارة أخرى باللين ، وتارة بالعلو وتارة بالدنو .

٢ – ترتيب الأولويات والتدرج في الدعوة :

والتدرُّج في الدعوة يعني أن يبدأ الداعية بالقضايا الكبرى ثم ما دونها ، كتصحيح العقيدة أولاً ، ثمَّ الانتقال إلى المشاكل والأزمات المحيطة بمجتمع

---

(١) سورة الكهف : الآية ٧١ .

٢() سورة الكهف : الآية ٧٤ .

٣() سورة الكهف : الآية ٧٧ .

المدعوين ، وترتيب الأولويات يعتبر من الدروس القيمة في تلك القصة العظيمة ، فالأهم ثم المهم ، فأول ما نادى به سيدنا شعيب عليه السلام هو قضية التوحيد وأخذ يكررها بأكثر من أسلوب ، فهي أهم وأول شيء وتتقدم أي موضوع ، ثم بعد ذلك يأتي تنظيم العبادات ، فالمعاملات .

حيث بدأ شعيبُ عليه السلام بدعوة قومه إلى الوصية الأولى التي نصَّتْ عليها جميع رسالات السماء وهي الوحدانية ، لأنَّهم إذا آمنوا بالله واليوم الآخِر فسيمتثلون طوعًا للأوامر والنواهي الإلهية ، قال تعالى : ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ** ﴾ (١) ، ثمَّ حثَّهم على التقوى ، بعدما أخبرهم أنه رسول مِن الله لا يريد منهم أجرًا على هذا العمل : ﴿ **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ (٢) . ثمَّ قال لهم آمِرًا : ﴿ **وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ (٣) ، ثمَّ نهاهم عن الصدِّ عن سبيل الله : ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ **وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا** ﴾ (٥) .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٣٦ .

(٢) سورة الشعراء : الآيات ١٠٧ : ١٠٩ .

٣() سورة هود : الآية ٨٥ .

٤() سورة الأعراف : الآية ٨٥ .

٥() سورة الأعراف : الآية ٨٦

٣ - التفنن في المجادلة مع احترام رأي الآخرين :

والتفنن في المجادلة مع احترام رأي الآخرين هو ما تميز به نبي الله شعيب عليه السلام وهو ما يسمى بعبقرية الحوار ، حيث قام بتغيير نمط الحديث واستخدام أساليب متعددة ، كأسلوب الأمر ، والنهي ، والترهيب ، والترغيب ، والإغراء ، والتوبيخ ، والتهويل ، والتخويف .... ألخ .

كما أنه احترم رأي الآخرين ، بالاستماع إليهم واستخدام أسلوب النداء ، والتذكير والإقناع ، والشفقة ، والرجاء .... ألخ . أيضًا : التفنُّن في المجادلة ، والبراعة في المحاورة ، والرد بالأدلة العقلية ، والشواهد الحسيَّة ، والتذكير بالوقائع والأحداث المشاهدة . كما قام بالجمع بين ترغيب المدعوين ، وترهيبهم لإقامة الحجَّة عليهم . وقبل ذلك كله لم يغفل أبداً سيدنا شعيب عليه السلام الدعاء لله ، والإخلاص في العمل ، والاستعانة بالله جلَ وعلا ، واليقين الإيماني بأنَّ التوفيق كله بيده سبحانه وتعالى [١] .

٤ - العمل على تطهير المجتمع من الأمراض الاجتماعية والاقتصادية :

يعتبر العمل على تطهير المجتمع من الأمراض المستشرية به - سواء أكانت من الناحية الاجتماعية ، أم من الناحية الاقتصادية ، أم غير ذلك - من أهم وأنبل الأهداف والرسالات التي تعيد للمجتمع توازنه واستمراره ، ويتبين هنا أنه بعد أنْ قام نبي الله شعيب عليه السلام بدعوة قومه إلى إصلاح العقيدة ، وقضية التوحيد بالله جلَ وعلا انتقل إلى إصلاح المجتمع وتطهيره من الآفات الاجتماعية والاقتصادية التي تهدَّد

(١) محمد عبدالشافي القوصي : روعة الأسلوب الدعوي في القرآن الكريم ، مرجع سابق .

وجودهم ومصـــيرهم ، فنهاهم عن التطفيف في الكيل والميزان ، وبخس الحقوق الذي يمحق البركة ، ويسلب النعمة ، فضلًا عن عذاب الآخِرة .

قال تعالى على لسـان نبيه الكريم : ﴿ **فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ** ﴾ (١) . فكانوا يردون عليه بأن هذا من الموروثات التي وجدوا أنفسهم عليهم اســتكمالا لأســلوب أباءهم وأجدادهم في المعاملات ، وأن الجميع يفعل هذا الفعل ، وهذه القضية جد خطيرة .

ولقد نهانا عنها الحبيب المصــطفى ﷺ ، فعنه أنه قال : ﴿ **لا يكُنْ أحَدُكمْ إمَّعَة يقول : أنا مع الناس ، إن أحْســنَ الناسُ أحســنتُ ، وإن أســاؤوا أســأتُ ، ولكن وَطِّنُوا أنفسكم إن أحسنَ الناسُ أن تُحْسِنُوا ، وإن أساؤوا أن لا تَظلِمُوا** ﴾ (٢) .

وتبدأ عملية تطهير المجتمع من تلك الآفات والأمراض بالعمل على ضــبط المقاييس فلو نظرنا إلى أي نشـاط اقتصـادي لتبين لنا أن معظمه يعتبر نشـاطًا كميًا يقوم على المقاييس المختلفة والأرقام والحسـابات التي تضـبط الحقوق والالتزامات في التعامل بين الناس من مكاييل وموازين وأعداد ... ألخ ، وأي خلل في ذلك يربك الحياة الاقتصـادية ويؤدى إلى اختلالات عديدة وظلم فادح ، ولقد دارت رسـالة سيدنا شـعيب عليه السلام حول مكافحة ذنب اقتصادي كبير وهو الغش في المقاييس ، والمكاييل .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٨٥ .

(٢) أخرجه الترمذي عن حذيفة .

فالحرية الاقتصادية المنفلتة من كل قواعد أو ضوابط تؤدي للهلاك لا محالة ، حيث أن قوم شعيب عليه السلام استنكروا تدخله لأمرهم بإيفاء الكيل والميزان وعدم إنقاصهما وعدم بخس الناس أشياءهم ، وكان ردهم عليه بقولهم : ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ** ﴾ (١) ، وهذا درس لمن يروجون لرأسمالية السوق الحرة التي تترك فيها المعاملات طبقاً لقاعدة البقاء للأقوى وآليات السوق المزعومة واليد الخفية المفترضة ، مما أدى إلى انتشار الممارسات الاحتكارية والممارسات غير الأخلاقية التي أضرت بالأسواق وبالاقتصاد ، وبدأت الأصوات العاقلة تنادى بضرورة تدخل الحكومات لضبط هذه الحرية المنفلتة بتشريعات متعددة منها ما يعرف في بمصر بمشروع قانون تنظيم المنافسة ومنع الاحتكار الذى أعدِّ منذ ثلاث سنوات ولم ير النور بعد .

٥ - تطابق القول مع الفعل والتسلح بالعلم والمعرفة :

لا يصح أن يقوم الداعية بحث الناس على إتيان فعل حسن معين دون أن يكون هو ذاته متصفًا به ويقوم بفعله ، وإلا يكون بلا عقل أو وعي ، يقول تعالى : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾ (٢) وتفسير ذلك أنه كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر - وهو الخير - أن تنسوا أنفسكم ، فلا تأتمرون بما تأمرون الناس به ، أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم ، فتنتبهوا من رقدتكم .

١() سورة هود : الآية ٨٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٤٤ .

حيث كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه ، وبالبر ، ويخالفون ذلك ، فعيرهم الله عز وجل . وكذلك المنافقون لا يختلفون عنهم في شيء كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ، ويدعون العمل بما يأمرون به الناس ، فعيرهم الله بذلك ، فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مسارعة .

كما قال شعيب عليه السلام : **﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾** [١] ، عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **مررت ليلة أسري بي على أناس تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم** " [٢] .

فيجب أنْ يتطابق كلام الداعية مع فعله ، وأنْ يتحلَّى بالصبر الجميل والخلق ، والمثابرة على ما يبغاه ويرجو أن يصل إليه ، وأنْ يتسلَّح بالعلم والمعرفة ، وأنْ يتجمَّل بالفصاحة والبلاغة ، مستخدِمًا كافة أساليب البيان التي يعرض من خلالها دعوته .

٦ – العقوبات الاقتصادية سنة إلهية :

العقوبات الاقتصادية هي جملة التدابير والإجراءات الاقتصادية والمالية التي تفرض على المخالف للقواعد العامة التي تستوجب تلك العقوبات ، وذلك على

١() سورة هود : الآية ٨٨ .

٢() أخرجه ابن حبان في صحيحه .

خلفية القيام بأعمال مخالفة ذات طبيعة اقتصادية ، وقد تشمل العقوبات الاقتصادية أشكالًا مختلفة من الحجز التجاري ، أو الإداري ، أو القيود المفروضة على المعاملات المالية . وتهدف العقوبات الاقتصادية عموماً على إرغام المخالف بتكبد مساوئ تصرفه الخاطئ ، والعمل على تعديل سياسته .

ولقد عاقب الله سبحانه وتعالى قوم مدين على هذه الذنوب الاقتصادية التي اقترفوها بكساد سلعهم ، وبعذاب يوم الظلة الذى أهلكهم ، وهى عقوبات قائمة إلى يوم الدين على كل من يرتكب ذنوبا اقتصادية [١] .

أيضًا .. ومن أهم تلك العقوبات الاقتصادية عقوبة الغرامة ، وهي سنة إلهية من قديم الأزل ، ولقد عرفت الشريعة الإسلامية الغرامة كعقوبة اقتصادية لبعض أنواع الجرائم ، ومن أمثلة ذلك : تعزير من يجلس في مجلس الشرب بتغريمه ، ومن يسرق الضالة ، أو الثمر المعلق ، أو الماشية قبل أن تؤوي إلى المراح .

فيتبين أن عقوبة الغرامة تعتبر عقوبة أصيلة ، فرضت كجزاءٍ لفعل مخالف لقواعد الشريعة الإسلامية ، وقد تقترن الغرامة مع غيرها من العقوبات ، مثل عقوبة الجلد مع الغرامة لمن سرق الماشية قبل أن تأوي إلى المراح [٢] .

---

(١) أ. د محمد عبد الحليم عمر : دروس اقتصادية من حياة الأنبياء ، جامعة الأزهر – مركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الاسلامي ، ٢٠٠٤ ، ص . ١٠ .

(٢) مقال بعنوان : ما هي طبيعة الغرامة في الشريعة الإسلامية ومجالها ومقدارها ؟ ، اطلع عليه بتاريخ : ٢٠٢١/١٠/٣ ، متوافر على الرابط : https://e3arabi.com/?p=28481 .e3arabi

وهناك مثل شـــعبي يقول: "**ما أدب إلا أدب القرش**" ، وهو يعني أن دفع النقود كعقوبة اقتصادية وغرامة ، تعتبر وبال على صاحبها ، لأنها تدفع بلا رجعة ، ودون مقابل مادي محسـوس أو ملموس يحصـل عليه ، ولذلك فهي تسـبب ألم وضـيق ، وتكون عقوبة رادعة تجعل دافعها يفكر مئات المرات قبل ارتكاب الفعل .

٧ – وجوبية ربط الاقتصاد بالإيمان :

لا شـــك أنه لكي يتحقق اقتصـــادًا قويًا يجب أن يكون هناك إنتاجًا قويًا ، فـالاقتصـــاد والإنتـاج مرتبطين بعلاقـة طرديـة وديـنـاميكيـة في نفس الوقـت ، والإنتاج هو ثمرة الجهد والعمل ، والعمل جزء من الإيمان ، قال تبارك وتعالى : ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [١] ، والإيمان يعتبر حافزًا ذاتيًا للعمل ، فالمؤمن يندفع إلى العمل تلقائياً ، لأنه يعلم أن سُـــنَّة الله الكونية لا تسمح لكسول أن يحقق آماله وطموحاته . وتحقيق أي إنتاج ، لا يمكن أن يكتمل ما لم يرتبط بالإيمان والعمل .. وهذا ما يُبيّنه القرآن الكريم ، حين يضـــع ضـــوابط مُحكمة تربط النجاح بالعمل ، والفشـــل بالعجز والكســـل ، فيُطالب المؤمن بأن يخشى الله في عمله فيتقنه .

أي أن يربط بين الإيمان والعمل ، فيبذل الجهد وهو يستشعر مراقبة الله له ، مستحضراً قول الرسول ﷺ : " **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذا عَمِلَ أَحَدُكُم عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ** " [٢] .

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٥ .

(٢) رواه الطبراني .

والأعمال الفاضلة لا تقتصر على العبادات .. بل تشمل أيضاً الأعمال الدنيوية لأن الدنيا ما هي إلا مزرعة لعمل المؤمن ، يحصد ثمارها في الآخرة ، فيراقب نفسه ويؤدي الأمانة ويُخلص في العمل ، مراعياً حقه وحق أهله ومجتمعه ، وأمته [١] .

وللإيمان أثر في العمل والإنتاج حين يحرص المؤمن على أن يكون إنتاجه نافعاً مُثمراً ينتفع به هو والمجتمع ككل ، ولذا نبه سيدنا شعيب عليه السلام قومه من عدم ربط الاقتصاد بالإيمان ، فهما مرتبطان ببعضهما ارتباطاً لا يقبل التفرقة ، قال تعالى على لسان نبيه الكريم : ﴿ **وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ [٢] ، فالفساد هو الذى ينطوي على أكل أموال الناس بالباطل سواء بالغش في المعاملات وبخس الناس حقهم أو الرشاوى والاختلاسات .

يضاف إلى ذلك الضرائب الظالمة غير المباشرة التي كانوا يقومون بفرضها دون وجه حق على السلع والخدمات عند التعامل بها في الأسواق ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ** ﴾ [٣] ، أي تقعدون بالطرق والأسواق تتوعدون الناس بأخذ أموالهم من مكوس وغير ذلك ، فكانوا أول من أخذ عشور أموال المارين عليهم بتجارات وغيرها .

٨ - التذكير بنعم الله وإعطاء الفرصة للاستغفار والتوبة :

(١) د. خالد صالح الحميدي : أثر الإيمان في العمل والإنتاج ، جريدة العرب الاقتصادية الدولية ، تم الاطلاع عليه بتاريخ : ٢ / ١٠ / ٢٠٢١ ، متوافر على الرابط : https://www.aleqt.com/2011/07/22/article_561455.html .

٢() سورة البقرة : الآية ٦٠ .

٣() سورة الأعراف : الآية ٨٦ .

إن نعم الله سبحانه وتعالى على عباده لا تعد ولا تحصى ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [١] ، فنعم الله أكثر من أن تشكر ، فهي عددًا مجردًا عن الشكر ، كما أنها لا تحصى ، فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات ، من جميع أصناف النعم مما يعرف العباد ، ومما لا يعرفون ، والله يرضى باليسير من الشكر مع إنعامه الكثير [٢] .

ولقد استخدم سيدنا شعيب عليه السلام أسلوب التذكير بتلك النعم وفضل الله على عباده ، قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ [٣] ، وقال : ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴾ [٤] ، فلابد من إثارة التقوى في حياة الناس ، وتذكيرهم بنعم الله عليهم ، فوجودهم وخلقهم نعمه ، وقوتهم نعمة ، فقد كانوا أقوياء يترصّدون للنّاس في الطّرقات ، ورزقهم ومعاشهم نعمة ، فقد كانوا أغنياء يملكون البساتين والمحاصيل ويتصرفون في نتاجها بعد أن كانوا فقراء ومحتاجين .

أيضًا إتاحة الفرصة للاستغفار والتوبة من الذنب ، فالاستغفار نعمة عظيمة من المولى جلّ وعلا ، للمستغفر نفسه ولمن حوله من الأفراد ، وذلك لأن المسيء لو فقد الأمل في التوبة والمغفرة من الله ، لاستفحل وفجر وأزداد من الآثام ما لا يحمد عقباه .

١() سورة النحل : الآية ١٨ .

(٢) يزن الغانم : تذكير العباد بنعم المنعم وشكرها ، تم الإطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢١/١٠/٥ ، متوافر على الرابط : https://www.alukah.net/sharia/0/138791/ .

٣() سورة الأعراف : الآية ٨٦ .

٤() سورة الشعراء : الآية ١٨٤ .

وهنا نجد نبي الله شعيب عليه السلام يعطي لقومه فرصة للتوبة والاستغفار ، قائلاً لهم : ﴿ وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [١] .

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " **من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب** " [٢] .

٩ – لا يقتصر البخس والتطفيف على المكاييل وفقط :

لا يقتصر بخس الناس أشيائهم على الموازين والمكاييل وفقط ، ولا يقتصر على الأموال أيضا ، بل يمتد ليشمل كافة المعاملات ، قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ** ﴾ [٣] ، ولم يقل المولى أموالهم ، ولذا فهذا الأمر يشمل أشياء متعددة ، منها على سبيل المثال : الخبرة ، والكفاءة ، والموهبة ، والأولوية ... ألخ .

ليس هذا وفقط ، بل إن التطفيف لا يقتصر على المكاييل ، قال تعالى : ﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۞ أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۞ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [٤] ، وتصف الآيات حال المطففين أنهم إذا اكتالوا

---

(١) سورة هود : الآية ٩٠ .

(٢) الإمام الحافظ المنذري : الترغيب والترهيب ، كتاب الذكر والدعاء ، باب الترغيب في الاستغفار الجزء ٢ ، ص. ٢٦٨ .

(٣) سورة هود : الآية ٨٥ .

(٤) سورة المطففين : الآيات ١ : ٦ .

على الناس يستوفون المكيال ويزيدون وذلك في حالة الشراء ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون في الميزان ، أي في حالة البيع .

وبالقياس يتبين أن الآيات لا تقتصر على المكاييل وفقط ، بل وتمتد لما بعد ذلك ، فنجد الفرد الذي يقوم بتأدية عمل ما ، يحاول بأي شكل من الأشكال أن يراوغ صاحب العمل ويقتنص الفرصة لتضييع الوقت ، وعدم الالتزام بما هو مكلف به ، بما في ذلك ضياع حقوق الناس المتعاملين معه ، في حين أنه ساعة قبض المرتب نجده ملتزما بالقبض في موعده المحدد . أو عكس ذلك .. كأن يقوم صاحب العمل باستنزاف العاملين في أداء مهامهم ، وعند دفع الرواتب نجده يتنصل منهم ، ويدفع جزء من مستحقاتهم دون الآخر .

١٠ – الاعتبار بمواضع العبرة عبر التاريخ :

تعتبر دعوة القُرآن الكريم إلى معرفة التاريخ وأحداثه وأيَّامه – ومعرفة أحوال الأمم السالفة في الأزمنة المنقضية ، والتَّبصُّر بعَواقبهم – من أهم الدروس والعظات والعبر ، لمن يعتبر ، لأنَّ معرفة التاريخ الإنساني والقصص المتضمِّنة للأمم والأقوام والقبائل وبَيان أعمالهم وحَضاراتهم ، وبَيان أحوال المكذِّبين للوحي والرُّسل منهم ، ومعرفة عَواقبهم يجعل من ذلك معتبرًا وإصلاحًا للمستقبل القادم . فالقصَّة القُرآنيَّة

تُعَدُّ لونًا من ألوان التاريخ ، الذي يعتبر رابطًا للأحداث بأزمانها ، ويدورُ حوله الأشخاصُ مثلما حدَث لتاريخ الإسلام [١] .

ولقد دعا سيدنا شعيب عليه السلام قومه إلى الاعتبار بما حدث للسابقين الذين تركوا اتباع منهج الله ، واتبعوا أهواءهم ، قال تعالى : ﴿ **وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ** ﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [٣] .

فالاعتبار بقصص السابقين وما حدث للآخرين على مر الأزمان والعصور يعتبر حافزاً للأخذ بالإيجابيات ، وكذا مثبطًا وحائلاً لتكرار السلبيات ، وهو ما يجب تطبيقه قبل اتخاذ القرارات الاقتصادية بالنظر للأنظمة (الاشتراكي والرأسمالي) من مساوئ وإيجابيات [٤] .

المطلب الثاني

كيفية تطبيق المنهج النبوي على الوضع الحالي

يعتبر الفساد الاقتصادي أحد أسباب الانهيار ، فما مِن أمة أساءت في ذلك الجانب إلا وكانت عاقبتها الخسران والهلاك ، والواقع أنّ تلك الأمم التي جرها الرخاء

---

(١) عاطف عبد المعز الفيومي : الدعوة إلى معرفة التاريخ وقصص الأمم السابقة للاعتبار والعظة، تم الاطلاع عليه بتاريخ : ٢٠٢١/١٠/١٠ ، متوافر على الرابط : https://www.alukah.net/sharia/0/56394/#ixzz791dWrWqc .

٢() سورة هود : الآية ٨٩ .

٣() سورة الأعراف : الآية ٨٦ .

٤() أ. د / أحمد عبد المبدي أحمد النجمي : الجوانب الاقتصادية في حياة نبي الله شعيب عليه السلام ، مرجع سابق ، ص . ٢٢ .

الاقتصادي إلى الكفروالظلم والإعراض عن منهج الله ، قد ظَلمت نفسها قبل أن تظلم غيرها ، فأهل مكة لمّا لمْ يشكروا الله على ما أَنعم عليهم من رزق ، وكذّبوا بنبوة رسول الله محمد ﷺ ألبسهم الله لباس الجوع والخوف ، وقوم شعيب لمّا فصلوا الدين عن الاقتصاد ، وتمادوا في الانحرافات والمخالفات ، أخذَهم عذاب يوم الظلّة ، وقوم سبأ أتلف الله لهم مزارعهم وثمارهم ، وقارون عندما نسب الثراء لنفسه ولم يشكر الله ، خُسفت به الأرض ، حيث كان كيميائيا وكان يحيل التراب لذهب ، وقوم عاد لمّا شيدوا المباني المنحوتة في الجبال على سبيل العبث واللعب أهلِكوا بالصيحة .

والواقع العملي يشهد انهيار الحكومات والدول التي تمارس الظلم الاقتصادي والاستحواذ على ثروات وممتلكات الأوطان بغير حق ، ولو بعد حين .

وبالعودة إلى أحداث قصة سيدنا شعيب عليه السلام مع قومه ، وما ذكرته لنا الآيات الكريمة ، يتم ملاحظة الأسس التي قامت عليها دعوته كما ذكرنا سالفاً ، وأن تلك الأسس والمبادئ مستمرة ، تصلح لكل زمان ومكان ، لأنها قواعد ثابته مجردة لا تتغير ، ومن خلال ذلك يتبين لنا كيفية تطبيق ذلك المنهج النبوي على الوضع الحالي ، وذلك على النحو التالي :

أولاً : الإصلاح الديني والعقائدي والفكري :

تعتبر مقولة "**ما بنى على باطل فهو باطل**" من الأسس المنطقية والبديهية ، إذ يقتضي التفكير المنطقي السليم ، أن يكون أساس كل تصرف مبني

على قاعدة صحيحة حتى ينتج آثاره ، فالأساس هو القاعدة التي تبنى عليها الأشياء مادية كانت أم معنوية ، فإن شاب ذلك الأساس عيب أو عدم مشروعية ، أصبح باطلاً ومنعدماً ، ولا أثر له، ولذا فبداية الأمر، وأول خطوة في الإصلاح هو إصلاح الفكر والدين والعقيدة .

ولقد كان أهل مدين مشركون بالله ، ورثوا من أباءهم عبادة الأصنام ، ونشأت على ذلك الأجيال ، حيث الانحراف الذي أُصيبت به البشرية على امتداد التاريخ ، واتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً ، فكان ذلك نواة للوثنية وعبادة الأصنام ، حتى سرت فيهم روح الشرك ، وانحرفت عن توحيد وعبادة الله الواحد الأحد ، فأرسلت الأنبياء والرسل واحداً تلو الآخر لدعوة الإنسان إلى العبادة الحقة ، وإزالة الرواسب التي شابت فطرته وكان أول ما دعا به نبي الله شعيب عليه السلام قومه هي قضية التوحيد ، ونبذ الأصنام ، والإيمان باليوم الآخر ، ولم يكتفِ بتصحيح معتقداتهم ، بل تلازمت دعوته إلى عبادة الله الواحد مع الدعوة إلى الإصلاح الفكري بصفة عامة .

لذا ولتطبيق هذا المنهج النبوي ، يجب البدء بإصلاح المنطق الفكري ، والمنهج الديني للأفراد ، وترسيخ المبادئ الإسلامية داخل نفوسهم ، فالبقاء للأصدق وليس للأقوى ، مع تغليب مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ، كل هذا لن يأتي إلا باتباع المنهج الإسلامي الحنيف الذي ينظم كل كبيرة وصغيرة في المعاملات .

ويجب البدء في ذلك وفقاً لخطط منهجية حاسمة تخاطب كافة الأجيال ، وجميع الفئات كلٌ بلغته ، وفقا لمعايير السن ، والثقافة ، والبيئة المحيطة ، بحيث يتم وضع منهج محدد ، يستهدف نتيجة معينة ، في زمن محسوب ، عن طريق المدرسة

للأطفال والطلاب ، والجامعة للدارسين ، والمسجد للمصلين ، ووسائل الإذاعة والتليفزيون ، ومواقع التواصل الاجتماعي للمهتمين ، وذلك لترسيخ تلك المبادئ ، بحيث يكون ذلك هو التصرف الطبيعي والتلقائي للأفراد ، هي الفطرة الحنيفة .

ثانياً: الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي :

لقد حرص نبي الله شعيب عليه السلام على الدعوة إلى الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي قدر حرصه على دعوته قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد ، ونبذ عبادة الأصنام ، فلقد كان الإفساد في المعاملات رائجاً فيهم وشائعاً بينهم ، مع أن الله تعالى أنعم عليهم بالأمن والرفاهية والخصب ورخص الأسعار . فنهاهم عليه السلام عن التطفيف في البيع والشراء ، إذ كان الكيل أو الميزان رمزاً للحركة الاقتصادية ودورتها لذلك خص نقص المكيال والميزان من بين معاصيهم بالذكر ، وهذا دلالة أيضاً على شيوعه بينهم وإقبالهم عليه ، وإفراطهم فيه بحيث ظهر فساده وبان سوء أثره [١] . فكثير من الناس حتى وقتنا هذا يعتقد أن الدين مجموعة من القضايا المجرّدة والمفاهيم النظرية التي ترتبط بأمور غيبية لا صلة لها بجوانب الحياة ، ما جعلهم يفصلون قضايا العقيدة عن سلوك الناس في تصرفاتهم اليومية .

وقام سيدنا شعيب عليه السلام بذلك الإصلاح الاقتصادي عن طريق نهيهم عن تلك الأفعال ثم أمرهم بإيفاء المكيال والميزان ، ونهاهم عن بخس الناس أشياءهم ، ثم طور

(١) هدى كوراني : النبي شعيب عليه السلام (دعوته الإصلاحية) ، شبكة الإمامين الحسنيين للتراث والفكر الإسلامي ، نشر في ٢٠١١/١١/٣٠ ، تم الإطلاع عليه بتاريخ : ٢٠٢١/٩/١٨ ، متوافر على الرابط : http://alhassanain.org/arabic/?com=content&id=172.\

دعوته بالنهي عن الفساد في الأرض بجميع أنواعه من قتل أو ضرب أو جرح أو ظلم ، مركّزاً على الإصـــلاح الاقتصـــادي لارتباطه بالحياة الاجتماعية ارتباطاً لا يقبل التجزئة فأية علاقة بين أفراد المجتمع الإنســاني تبنى على المبادلة ، والتواصــل الذي فيه أخذ وعطاء ، حيث يفيد الفرد غيره وبالتالي يعد عليه بالنفع والاستفادة .

والإصلاح الاقتصادي كما سبق القول مرتبط تمام الارتباط بالإصلاح الاجتماعي ، فالمعاملات المالية بين الأفراد لا تقتصـر على الدورة الاقتصـادية ، بل تتعدّى ذلك إلى الحياة الاجتماعية ، لأن عدم استقرار تلك المعاملات ، تؤدي لانتشار الفساد بين أفراد المجتمع ، بما يؤدي لمحو وســلب الثقة المتبادلة والاطمئنان ، واعتماد البعض على بعضـهم الآخر ، فيذهب بذلك الأمن بينهم . وهناك ما يسـمى بأمن المعاملات ، وهو المصالح المشتركة بين الأفراد والمبادلات وحفظ العلاقة بينهم في كامل استقامتها ، بإعطاء كل ذي حق حقه ، وإعطاء كل منهم ما يفضـــل من حاجته وأخذ ما يعادله مما يتمّم به نقصـه من ضـروريات الحياة ، والحفاظ على أوصـاف الأشـياء ومقاديرها على ما هي عليه . وعلى العكس من ذلك فســلب الأمن العام في المعاملات يوقف من تنمية المجتمع الإنســاني ، ويعطله عن حركته من كل الجهات ، مما يؤدي لتفاقم المشكلات الحياتية وهلاك الحرث والنسل وفناء الإنسانية أجمع .

وهنا يأتي دور الحكومات والجهات الرقابية والتوعوية ، بتطبيق المنهج النبوي ، حيث ترافقت دعوة النبي شـــعيب عليه السلام إلى التوحيد مع دعوته إلى إقامة العدل ، من خلال تنظيم شـــؤون قومه الاقتصـــادية ، فانحرافهم في العقيدة انعكس على نظمهم الاقتصادية والاجتماعية واستقرارهم، ومن هنا كانت مهمته إصلاح أمر الدنيا والآخرة.

فليس من المعقول أن يكون الإنسان مؤمناً بالله ورسله وأنبيائه ، ويؤدي فرائضه وسننهم ، وفي ذات الوقت يقوم بغش الناس في تجارته ومعاملاته المادية والمعنوية ، وكم من هذه النماذج المنتشـــرة في المجتمعات ، فما يظهر منهم من القول والفعل هو الإيمان والتقوى بعينهم ، إلا أنهم على الجانب الآخر المســـتتر عن الناس لا يتورعون عن الكذب والخداع والغشّ من أجل كســـب بعض المال ، ولا يكترثون كيف يجمعونه ، حلالاً كان أم حراماً .

ثالثاً: الإصلاح النفسي والمعنوي :

للانحرافات الاقتصادية والفساد المالي جذور نفسية في شخصية المخالف ، فالشخص الفاسد والمنحرف غالباً ما يكون مصاباً بأمراض نفسية ، وأقل ما يمكن أن يقال فيه أنه شخص غير سوي ، وتتعدد تلك الأمراض النفسية وتختلف من شخص لأخر ، فمنها الشـــح والبخل والطمع والغشّ والخيانة والكذب والنفاق ... ألخ ، لذا فإن أول خطوة للإقلاع عن تلك الأمراض هي الإصلاح النفسي والسلام الداخلي والوعي الاقتصـــادي والاســـتقامة الإيمانية ، ليقوم المخالف بتعديل تلك الانحرافات ويسير في خط مستقيم . فالطمع والسرقة والغش والخيانة وباقي الأمراض الاقتصادية ليست من أخلاق وشيم الكرام ، وتطهير الإنسان من تلك الآفات النفسية التي تكدر فطرته السليمة وتخالف طبيعته كانت من أهم أهداف الرسالات السماوية .

وبالنظر إلى تعليمات الرسول محمد ﷺ وصحابته الكرام يتبين أنها لم تغفل ذلك النوع من الأمراض ، فهي تعتبر أفضل وسيلة لتدريب الإنسان على أن يسمو بنفسه ، فيخلصها مما شابها من طمع وكذب وغشّ وبخل وخداع .

فمن مأثورات سيدنا علي ﷺ أنه قال : " **أشكر الناس أقنعهم ، وأكفرهم بالنعم أجشعهم** " [١] ، كما قال الحبيب المصطفى ﷺ : " **خيار المؤمنين القانع وشرّهم الطامع** " [٢] .

فتعاليم الإسلام الحنيف خير علاج للنفس البشرية ، لأن الإسلام لم يترك الإنسان يتخبّط في بحر هذه الدنيا من دون إرشادات تقيه ما يعتري طريقه ، فعلى سبيل المثال نجد الأحاديث الشريفة في ذمّ البخل والبخلاء ، لأن البخل آفة نفسية لها تبعاتها على البخيل نفسه ، وعلى أهل بيته وعلى مجتمعه ، وهي على مستوى التجارة مرتبطة بالتطفيف وبالتلاعب بالأسعار .

فلقد ورد عن سيدنا علي ﷺ أنه قال : " **إيّاكم والبخل فإنّه عاهة لا تكون في حرّ ولا في مؤمن ، إنها خلاف الإيمان** " [٣] ، كما قال سيدنا علي ﷺ : " **البخل جلباب المسكنة ، وربما دخل السخيُّ بسخائه الجنة** " [٤] .

وإذا كان تطفيف الميزان هو رمز التلاعب بالأسس الاقتصادية السليمة ، فهو علامة وإنذار بوجود أمراض نفسية ، ومثلما جاء الحثّ على التخلص

---

[١] محمد الريشهري : ميزان الحكمة ، ج ٢ ، ص. ١٤٨٩، حديث رقم ٢٠٧٤ ، الكتاب والسنة : ص. ١٢٧ حديث رقم ٤٥٠ ، مسند الشهاب: ج ٢ ص. ٢٤٠ ، كنز العمال: ج ٣ ، ص. ٣٩١ .

[٢] محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني : التنوير شرح الجامع الصغير ، حديث رقم ١٩٥٦ ، فيض القدير : حرف الخاء ، حديث رقم ٣٩٧٢ ، مسند الشهاب : حديث رقم ١١٨٣ .

[٣] من مأثورات الإمام : كتاب بحار الأنوار ، الجزء ٤ ، ص. ٧٨ .

[٤] عبد الله ابن مفلح المقدسي : الآداب الشرعية والدرر السنية ، المملكة العربية السعودية ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٩ ، ص. ٣١٠، بحار الأنوار ، الجزء ٢ ، ص. ٧٧ .

من هذه العادة في القرآن الكريم ، جاء كذلك على لسان الرسول ﷺ ، والأئمة الأطهار رضي الله عنهم .

فقد قيل إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مرّ بجاريةٍ قد اشترت لحماً من قصّاب وهي تقول : زدني ، فقال له أمير المؤمنين : زدها ، فإنه أعظم للبركة ، وقيل في الأثر : **(لا يكون الوفاء حتى يميل الميزان)** .

وكم يبتلى كثير من التجار ، كباراً كانوا أم صغاراً ، بالطمع والجشع وربما بالغشّ والخديعة ظنّاً منهم أن ذلك يؤدّي إلى جمع الثروات بأقصر طرق ممكنة ، علماً بأن قليلاً من الطمع يفسد كثيرًا من الورع على حدّ ما جاء في روايات أهل البيت (عليهم السلام) ، وإن ثمرة الطمع هي الشقاء في الدنيا والآخرة .

وهكذا يتبين أن إصلاح العقيدة يترتّب عليه إصلاحًا عامًا وشاملاً على مستوى السلوك والروح [١] ، يضاف إلى ذلك أنه يدخل في ضبط المقاييس عدم التلاعب في النقود ذاتها ، فإنها مقاييس الأموال ، وبها تعرف قيم السلع والخدمات ، سواء كان هذا التلاعب حسيا بتزوير وتزييف النقود ، أو معنويا بجعل النقود سلعة تباع وتشترى مضاربة وفى السوق السوداء ، مثل حالة الصرف الأجنبي بما يؤدى إلى التقلبات في قوتها الشرائية وفى أسعار الصرف .

---

[١] هدى كوراني : النبي شعيب دعوته الإصلاحية ، مرجع سابق .

الخـــاتـــمة

شــن القرآن الكريم حرباً لا هوادة فيها على جرائم الفســاد المالي والاقتصــادي ، وتنوعت أساليب القرآن الكريم في مكافحة تلك الظاهرة ، ومن تلك الطرق أسلوب سرد قصص السابقين ، والمتأمل في ذلك يجد أن الأنبياء والمرسلين قد أَولَوا مكافحة الفساد الاقتصادي عناية شديدة ، وذلك لِسوء أثَره على الأُمم سواء من الناحية الاقتصادية أو الدينية أو الاجتماعية ، وعليه فقد كانت دعوتهم إلى الحد من الفســاد الاقتصــادي والانحرافات المالية تتزامن مع دعوتهم إلى قضية التوحيد بالله الواحد الأحد .

ومن هنا ينبغي على المصلحين اليوم محاربة كافة صور الفساد الاقتصادي التي تقع في محيطهم ، فالمتأمل في واقعنا المعاصر يجد أنّ الفساد الاقتصادي من أشد صور الفساد شيوعاً ، وعلى الرغم من خطورته إلا أنه قلّ من يلتفت إليه من دعاة التوحيد في زماننا ، بل وما أطلقه عليه البعض من مفاهيم ومســميات جديدة تستره وتجمله ، فالرشوة أصبحت تسمى إكرامية ، والميسر أصبح يسمى حظاً ، والأمر بالمعروف أصبح تزمتاً ، والنهي عن المنكر أصبح تخلفاً ، ومن هنا يجب التصدي لمثل هذه الانحرافات ، حتى لا يتحول الفساد إلى سلوك متعارف عليه وأمراً طبيعياً ، ويصبح الالتزام والانضباط هو السلوك الشاذ في المجتمع ، فتهلك الأمة .

وعلى ذلك فيجب على المســئولين والجهات الرقابية أن يوســعوا دائرةَ مفهوم الفساد الاقتصادي في تصورهم ، والتصدي لكل تلك الصور ، ومن أجل تحقيق ذلك يتحتم أن يحارب الفساد الاقتصادي المعاصر بشتى أنواعه ، كالربا ، والجشع ، وعبادة المال ، ونهب الثروات ، والرشاوى ، وتبييض الأموال ، والتجارة بالمحرمات ،

وبيوع الربا ، والغش التجاري ، والاحتكار ، والغلاء الفاحش في الأسعار ، والقروض الربوية وسوء توزيع الثروات ، وشراء الذِّمم ، وتضييق سبل الرزق أمام المصلِحين ، وفَرض كيانات كبرى لسياساتها على الكيانات الضعيفة عن طريق الإغراءات الاقتصادية وغيرها ، ومن هنا يتعين بذل جهود مضنية في مقاومة هذا اللون من الفساد ، مع تفعيل دور الإعلام ، ودور الأُسرة ، والدور التربوي للمدارس والجامعات ، والخطاب الديني في المساجد ... ألخ .

النتـــائـــج

أفرزت تلك الدراسة عدة استنتاجات كان من أهما الآتي :

١ – اشتهر قوم شعيب عليه السلام بممارسة أقدم الأنشطة الاقتصادية على مر العصور وهي الزراعة والتجارة ، تزامن مع ذلك وجود التبادل التجاري الذي يكمل دائرة النشاط الاقتصادي حيث التعاون والتكامل بين المجتمعات وبعضها البعض .

٢ – انتشرت الأمراض والانحرافات الاقتصادية وتفشت في قوم مدين والتي تمثلت في (تطفيف المكاييل والموازين ، بخس الناس أشيائهم ، قطع الطريق على المارة ، الإفساد في الأرض ، الاستخفاف بالعقول) – ومازالت تلك الأمراض والانحرافات الاقتصادية منتشرة إلى يومنا هذا مع اختلاف وتنوع صورها وأشكالها – ، وكذا عبادة الأيكة دون الله الواحد الأحد .

٣ – ترتب على الانحرافات الاقتصادية لقوم مدين بعض الآثار الجانبية التي منها : (سوء سمعتهم بين القبائل ، انخفاض حجم تجارتهم وركود سلعهم ، انهيار النسيج المجتمعي بينهم ، إضعاف كيانهم الاقتصادي ، غضب المولى جلَ وعلا عليهم وإنزال العقاب بهم) ، أيضا تتكرر تلك الآثار الاقتصادية السلبية على مدار الأزمنة المختلفة ، وتستمر وترتبط بعلاقة طردية مع استمرار تلك الانحرافات الاقتصادية في المجتمعات .

٤ – كان من أهم أسباب تفشي تلك الانحرافات الاقتصادية في قوم مدين ، البعد عن الله سبحانه وتعالى ، والكبر والتعالي والتهكم على تعليمات نبيهم ،

واتباعهم الأعمى لموروثات أباءهم دون تحكيم العقل والمنطق ، ومازالت تلك الأسباب موجودة إلى الآن .

٥ – استخدم نبي الله شعيب عليه السلام كافة الأساليب والقواعد المثلى في التعامل مع قومه ، في حدود التزام أدب الحوار ، فتارة يتعامل بالرقة واللطف ، وتارة أخرى بالتهويل والتهديد ، وبين ذاك وذلك استخدم أسلوب التذكير ، والتنبيه ، والترغيب ، والرجاء ، والتحذير ، والاقناع ، والأمر .. ألخ ، وبالرغم من ذلك إلا أن هؤلاء القوم لم يستجيبوا لدعوة نبيهم وكذبوه وعاندوه حتى حل عليهم العذاب في ثلاثة مراحل ، وهلكوا جميعًا .

٦ – يستفاد من تلك التجربة النبوية : (التدرج في الدعوى مع ترتيب الأولويات ، مواءمة وملاءمة الأساليب المستخدمة وفقا للظروف المحيطة ، العمل على تطهير المجتمع من الأمراض الاقتصادية والاجتماعية دون تهاون ، يجب أن يتسلح الفرد بالعلم والمعرفة وأن يتطابق قوله مع فعله ويبدأ بنفسه ، وجوبية ربط الاقتصاد بالإيمان ، أخذ العبرة من أخبار وقصص السابقين على مر الأزمنة والعصور) .

التوصيات

مما لا شك فيه أن كل فرد يبحث عن الاستقرار المالي والاقتصادي في حياته العملية ، حيث يعتبر الاقتصاد ركيزة أساسية لما يلعبه من دورًا حيويًا وهامًا

في حياة الأمم والشعوب على مر الأزمنة والعصور ، والكل يسعى إلى الوصول لمرحلة الاستقرار المعيشي .

ولقد تناولت تلك الدراسة موضوعاً جد خطير ، وهو الانحرافات الاقتصادية لقوم مدين ، وتوصلت الدراسة لاستمرار تكرار تلك الانحرافات والمخالفات الاقتصادية حتى الآن بصورة أو بأخرى . وعلى ذلك أفرزت الدراسة عدة توصيات يمكن من خلالها المساعدة في مواجهة وتقويم تلك الانحرافات من أهمها :

١ – وجوب اتباع المنهج الرباني ، وقواعد الاقتصاد الإسلامي والتي تنظم كافة التعاملات والمعاملات المالية والاقتصادية ، وفقا للكتاب والسنة .

٢ – العمل على الإصلاح الفكري والعقائدي لدى الأفراد ، والوصول لمرحلة الوعي الثقافي والانضباطي في كافة المعاملات ، عن طريق وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي ، حتى يصبح ذلك الانضباط هو السمة السائدة في المجتمع ، وليس العكس .

٣ – التوسع في مفهوم الفساد المالي ، بالتوسع في تجريم كل أنواع المخالفات المالية والاقتصادية عن طريق السلطة التشريعية ، وتطبيق القانون على الكافة دون استثناءات ، أو اعتبارات للكيانات الاقتصادية ، فأحياناً لا ينفذ القانون على الجميع .

٤ – الربط بين الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ، فأية معاملات مالية لا تتم إلا بالتواصل والتبادل بين أفراد المجتمع ، ولن يتم الاصلاح الاقتصادي

دون أن يتلازم معه الاصلاح الاجتماعي ، وذلك عن طريق تفعيل دور الأجهزة الرقابية والتنفيذية في الحكومات .

٥ – إصدار قرارات فاعلة بعدم التعامل مع المخالفين والمنحرفين اقتصادياً وفقا للمفاهيم السابقة ، ورفعهم من كافة أشكال التعاون والدعم التي تقدمها الدولة ، بمعنى أن يكون هناك عقوبة اقتصادية تكميلية للعقوبة الأصلية التي يحددها القانون ، بحرمان المخالف من الخدمات الحكومية المدعومة من قبل الدولة بكل أشكالها ومراحلها وفئاتها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

قائمـــــة المراجـــــع

أ ـ الكتب السماوية المقدسة :

١ ـ القرآن الكريم .

ب ـ السنة النبوية المشرفة :

١ ـ صحيح البخاري ، دار ابن كثير ، بيروت .

٢ ـ الأدب المفرد للبخاري ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت .

٣ ـ صحيح مسلم ، دار الجيل ، بيروت .

٤ – صحيح ابن حبان .

٥ ـ سنن الترمذي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٦ ـ المعجم الكبير للطبراني .

جـ ـ القواميس والمعاجم :

١ – معجم المعاني الجامع .

د ـ الكتـــب :

١ – الإمام الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر العربي ، ج ١.

٢ – الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري : الترغيب والترهيب كتاب الذكر والدعاء ، باب الترغيب في الاستغفار ، الجزء الثاني .

٣ – أ. د / عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع : تأملات حول قصة نبي الله شعيب عليه السلام من قصص القرآن الكريم ، متوافر على الرابط : https://prof-alshujaa.net/?p=404 .

٤ – عبد الله ابن مفلح المقدسي : الآداب الشرعية والدرر السنية ، المملكة العربية السعودية ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٩ م .

٥ – عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي : فيض القدير ، المكتبة التجارية الكبرى للنشر ، مصر ، الجزء الثاني ، ١٢٥٦ هـ .

٦ – علاء الدين على المتقي الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، الجزء ٣ ، دار الكتب العلمية للنشر ، يناير ٢٠١٠ م .

٧ – د. فؤاد عبد الله العمر : مقدمة في تاريخ الاقتصاد الإسلامي وتطوره ، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب ، المملكة العربية السعودية ، جدة ، ١٤٢٤ هـ .

٨ – محمد الريشهري : موسوعة الإمام على بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥ هـ .

٩ – محمد الريشهري : ميزان الحكمة ، اجتماعي سياسي اقتصادي ، الجزء ٢ ، دار الحديث للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ .

١٠ – د . محمد الطيب النجار : تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ، دار الطباعة المحمدية ، ١٩٧٩ م .

١١ – محمد باقر المجليسي : كتاب بحار الأنوار ، الجزء ٤ ، ١٣٦٥ هـ .

١٢- محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني : التنوير شرح الجامع الصغير ، دار السلام للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٣٢ هـ .

١٣ – أ. د محمد عبد الحليم عمر : دروس اقتصادية من حياة الأنبياء ، جامعة الأزهر ، مركز صالح عبدالله كامل للاقتصاد الاسلامي ، ٢٠٠٤ م .

١٤ – محمد بن سلامة القضاعي : مسند الشهاب ، ج ٢، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م .

١٥ – د. نواف بن صالح الحليسي : المنهج الاقتصادي في المكاييل والموازين لنبي الله شعيب عليه السلام ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩١ م .

هـ ـ الدوريات والمقالات :

١ – إيهاب زكريا : قصص الأنبياء ، نبي الله شعيب –عليه السلام– المرسَل إلى المطففين ، تم الاطلاع بتاريخ ٢٠٢١/٦/١٧ ، متوافر على الرابط : https://www.masrawy.com/ramadan/islamicnnews-sunna/details

٢ – بسنت الشرقاوي : مقال منشور بالإنترنت بعنوان قصة النبي شعيب وأصحاب الأيكة ، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢١/٦/١٨، متوافر على الرابط : https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate .

٣ – تأملات في كتاب الله وسنة رسوله ، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢١/٨/١٧ ، متوافر على الرابط : https://m.facebook.com/inquranandsunnah/photos/a.269443 .

٤ – جريدة الدستور الأردنية : قصة سيدنا شعيب عليه السلام ، عمان ، بتاريخ : الاثنين ٨ سبتمبر ٢٠٠٨ .

٥ – حمزة عبد الله سعادة : صور الفساد الاقتصادي في القصص القرآني ، مجلة قبس للبحوث والدراسات الشرعية ، العدد ٥ ، ٢٠٢٠ م ، كلية العلوم التربوية ، جامعة القدس المفتوحة ، قلقيلية ، فلسطين .

٦ – خالد صالح الحميدي : أثر الإيمان في العمل والإنتاج ، جريدة العرب الاقتصادية الدولية ، تم الاطلاع عليه بتاريخ : ٢ / ١٠ /٢٠٢١ ، متوافر على الرابط : https://www.aleqt.com/2011/07/22/article_561455.html .

٧ – زكريا علي الخضر : القيم الحضارية في قصة سيدنا شعيب عليه السلام (دراسة قرآنية) ، الجامعة الأردنية ، عمادة البحث العلمي ، دراسات علوم الشريعة والقانون ، ٢٠١٦ م ، المجلد ٤٣ ، ملحق ١ .

٨ – سعيد محمود : مقال منشور بالإنترنت بعنوان : دروس مِن قصة نبي الله شعيب – عليه السلام ، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢١/٦/١٧ ، متوافر على الرابط : https://anasalafy.com/ar/62965- .

٩ – عاطف عبد المعز الفيومي : الدعوة إلى معرفة التاريخ وقصص الأمم السابقة للاعتبار والعظة، تم الاطلاع عليه بتاريخ : ٢٠٢١/١٠/١٠ ، متوافر على الرابط : https://www.alukah.net/sharia/0/56394/#ixzz791dWrWqc .

١٠ – ما هي طبيعة الغرامة في الشريعة الإسلامية ومجالها ومقدارها ؟ ، تم الاطلاع عليه بتاريخ : ٣ / ١٠ / ٢٠٢١ ، متوافر على الرابط :

e3arabi https://e3arabi.com/?p=284817 .

١١ – د. محمد حمدي عبيد ، د. اسماعيل مخلف خضير : الإصلاح الاقتصادي في قصتي شعيب ويوسف عليهما السلام ، مجلة مداد الآداب ، الجامعة العراقية ، كلية الآداب ، قسم علوم القرآن ، بتاريخ ٢٠١٩/٢/١٨ .

١٢ – محمد عبد الرحمن : سيدى شعيب من أنت؟ ، جريدة اليوم السابع ، الإثنين ١١ مايو ٢٠٢٠ ، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢١/٦/١٨ ، متوافر على الرابط https://www.youm7.com/story/ .

١٣ – محمد عبد الرحمن صادق : دعوةُ شعيب .. رباط العقيدة والمعاملة والسلوك ، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢١/٦/١٩ ، متوافر على الرابط : https://basaer-online.com/ .

١٤ – محمد عبدالشافي القوصي : روعة الأسلوب الدعوي في القرآن الكريم: سيدنا شعيب نموذجا ، متوافر على الرابط : https://www.alukah.net/sharia/0/130454/ .

١٥ – موقع ويكيبيديا : متوافر على الرابط : https://ar.wikipedia.org/wiki/.

١٦ – هدى كوراني : النبي شعيب عليه السلام (دعوته الإصلاحية) ، شبكة الإمامين الحسنيين للتراث والفكر الإسلامي ، نشر في ٢٠١١/١١/٣٠ ، تم الاطلاع عليه بتاريخ : ٢٠٢١/٩/١٨ ، متوافر على الرابط : http://alhassanain.org/arabic/?com=content&id=172\.

١٧ – يزن الغانم : تذكير العباد بنعم المنعم وشكرها ، تم الاطلاع عليه بتاريخ ٢٠٢١/١٠/٥ ، متوافر على الرابط : https://www.alukah.net/sharia/0/138791/ .

و . الندوات والمؤتمرات :

١ – أحمد عبد المبدي أحمد النجمي : الجوانب الاقتصادية في حياة نبي الله شعيب عليه السلام ندوة الجوانب الاقتصادية في حياة الأنبياء عليهم السلام ، مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي ، جامعة الأزهر ، ١٠ / ٤ / ٢٠٠٤ .

٢ – ناصر محمد السيد اسماعيل : من صور الانحراف الاقتصادي عند قوم شعيب عليه السلام وموقف الإسلام منها ، ندوة الجوانب الاقتصادية في حياة الأنبياء عليهم السلام مركز صالح عبد الله كامل ، جامعة الأزهر ، ١٠ / ٤ / ٢٠٠٤ .